كتب الفراشة



الفينيقيون

أَعَدَّ كُتُبَ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ خُبَراءُ مُتَخَصِّصونَ في المادَّةِ العِلْمِيَّةِ وطُرُقِ تَقْديمِها إلى الأَعِزّاءِ الصِّغارِ. وعُرِضَتِ الحَقائِقُ عَرْضًا مُبَسَّطًا مَنْطِقِيًّا يَصِلُ بَيْنَ الماضي والحاضِرِ، ويُلَبّي تَطَلُّعاتِ أَبْنائِنا ويَسْتَبِقُ أَسْئِلَتَهُمْ، حَتّى لَتَبْدُوَ هَذِهِ السِّلْسِلَةُ مَوْسوعَةً مُبَسَّطَةً تُغَذّي العُقولَ الفَتِيَّةَ.

وقَدْ وُجِّهَتْ عِنايَةٌ قُصْوى إلى الأَداءِ اللُّغَوِيِّ السَّليمِ والواضِحِ. وطُبِعَتِ النُّصوصُ بِأَحْرُفٍ كَبيرَةٍ مُريحَةٍ تُشَجِّعُ أَبْناءَنا عَلى القِراءَةِ. وزُيِّنَتِ الصَّفَحاتُ جَميعًا بِرُسومٍ مُلَوَّنَةٍ بَديعَةٍ نابِضَةٍ، تُوَضِّحُ الأَفْكارَ وتُنَمّي الحِسَّ بِالجَمالِ.

الفِينيقيّون



أعادَ حِكايتها : عَبْدالله أبومِدْحت

مُراجعَة : أحمد شفيق الخطيب



مكتبة لبنان ناشِرون

سادَةُ التِّجارَة

كانَتِ الأُمَمُ في العالَمِ القَديمِ تُحَقِّقُ لِنَفْسِها العَظَمَةَ والسِّيادَةَ بِالتَّفَوُّقِ العَسْكَرِيِّ في ساحاتِ الحَرْبِ. لكِنَّ الفينيقِيِّينَ حَقَّقوا أَمْجادَهُمْ في الشَّرْقِ الأَوْسَطِ وحَوْضِ البَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ في ساحاتِ الأَسْواقِ - بَيْعًا وشِراءً. فَهُمْ كانوا، لِحِقْبَةٍ طَويلَةٍ، سادَةَ التِّجارَةِ في البَحْرِ المُتَوَسِّطِ دُونَ مُنازِعٍ.

إسْتَوْطَنَ الفينيقِيُّونَ (ونَحْنُ لا نَدْري ماذا كانوا يُسَمُّونَ أَنْفُسَهُمْ) المِنْطَقَةَ المَشْمولَةَ حالِيًّا بِالسّاحِلِ اللُّبْنانِيِّ وبَعْضِ سُوريا وفِلَسْطينَ، بِعُمْقٍ لا يَتَجاوَزُ عِشْرينَ كِيلومِتْرًا، حَوالَيِ الأَلْفِ الخامِسِ ق.م. ويُعْتَقَدُ أَنَّهُمْ قَوْمٌ مِنَ الكَنْعانِيِّينَ جاؤوا مِنْ مِنْطَقَةِ الخَليجِ العَرَبِيِّ.

أوغاريت
أرادس
طرابلس
بيبلوس
(بيروت)
صيدون (صيدا)
صور
المدن الفينيقية

اليونان
آسيا الصغرى
بلاد فارس
وادي الرافدين
(بلاد ما بين النهرين)
فينيقيا
قبرص
فلسطين
كريت
البحر الأبيض المتوسط
مصر
إفريقيا

لَقَدْ كانَ الفينيقِيُّونَ كَكَنْعانِيِّينَ تُجّارًا بِطَبيعَتِهِمْ - وَنَذْكُرُ أَنَّ مِنْ مَعاني لَفْظَةِ «كَنْعانِيّ» بِاللُّغَةِ السّامِيَّةِ القَديمَةِ «التّاجِرَ». كَما إِنَّ مَوْطِنَهُمْ في وَسَطِ العالَمِ القَديمِ مُناسِبٌ تَمامًا لِشَعْبٍ تِجارِيِّ النَّزْعَةِ - فَإِلى الغَرْبِ يَقَعُ البَحْرُ المُتَوَسِّطُ وقُبْرُصُ وكِريتُ واليونانُ وإيطاليا، وإِلى الشَّمالِ تَمْتَدُّ آسِيا الصُّغْرى، وإِلى الجَنوبِ تَنْبَسِطُ أَراضِي فِلَسْطينَ ومِصْرَ والجَزيرَةِ العَرَبِيَّةِ؛ والطُّرُقُ شَرْقًا سالِكَةٌ إِلى وادي الرّافِدَيْنِ وبِلادِ فارِسَ والهِنْدِ.

اِتَّبَعَ الفينيقِيُّونَ نِظامَ الدَّوْلَةِ المَدينَةِ - فَكانَتْ كُلُّ مَدينَةٍ مِنْ مُدُنِهِمْ مَمْلَكَةً مُسْتَقِلَّةً. وَما كانُوا يَنْضَمّونَ مَعًا كَشَعْبٍ واحِدٍ إِلّا حِينَ يُداهِمُهُمْ خَطَرٌ أَوْ يُهَدِّدُهُمْ عَدُوٌّ مُشْتَرَكٌ.



آثارُهُم تَدُلُّ عَلَيْهِم

إنَّ مَوْطِنَ الفينيقِيِّينَ المِثاليَّ المَوْقِعِ لِلتِّجارَةِ هُوَ أَيْضًا مَوْقِعٌ اسْتراتيجِيٌّ مُهِمٌّ في طَريقِ الجُيُوشِ الغازِيَةِ المُتَعَدِّدَةِ طَوالَ العُصورِ السّالِفَةِ. وهكَذا فإنَّ المُدُنَ الفينيقِيَّةَ كانَتْ مِرارًا عُرْضَةً لِلاجْتياحِ والسَّلْبِ والنَّهْبِ مِنْ قِبَلِ الجُيُوشِ الزّاحِفَةِ، ومِنْ ثَمَّ يُعادُ بِناؤها وإعْمارُها. ونَتيجَةً لِذلِكَ فإنَّ مَعْلُوماتِنا المُباشِرَةَ عَنْ هذِهِ المُدُنِ شَحيحَةٌ رُغْمَ المُسْتَوى الحَضارِيِّ والثَّقافِيِّ العالي الَّذي بَلَغَتْهُ. فَجُلُّ ما لَدَيْنا مِنْ مَعْلوماتٍ عَنْها هُوَ ما كَشَفَتْهُ الدِّراساتُ الَّتي أجْراها الآثارِيُّونَ (عُلَماءُ الآثارِ) عَلى بَقايا المَباني ومُحْتَوياتِها.

لَقَدِ اكْتَشَفَ الآثارِيُّونَ في أَطْلالِ المُدُنِ الفينيقِيَّةِ بَقايا مَعابِدَ وقُصورٍ ومَشاغِلَ وسُفُنٍ؛ كَما عَثَروا عَلى نُصُبٍ (تماثِيلَ) وأوانٍ وقَواريرَ وحُلِيٍّ وأَسْلِحَةٍ.

نَبْشُ الماضي – عالِما آثارٍ يَتَفَحَّصانِ بَعْضَ ما لَقِياهُ في مَوقِعِ مَدينَةٍ فينيقِيَّة.





ولَمّا كانَ الفينيقيُّونَ سادَةَ التِّجارَةِ في حَوْضِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الكَثيرِ عَنْهُمْ مِنْ آثارِهِمْ في البِلادِ الَّتي ارْتادوها. فَقَدْ وُجِدَ الكَثيرُ مِنَ الحُلِيِّ والأَواني الفينيقِيَّةِ وسِواها مِنَ السِّلَعِ في شَتّى أَنْحاءِ حَوْضِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ وما بَعْدَهُ. كَما نَجِدُ في كِتاباتِ النُّسّاخِ المِصْرِيِّينَ عَلى وَرَقِ البَرْدِيِّ، وفي نُقوشِ مِعْمارِيِّي وادِي الرّافِدَيْنِ عَلى الصَّخْرِ، سِجِلّاتٍ تاريخِيَّةً حافِلَةً بِأَخْبارِ الفينيقِيِّينَ. كَذلِكَ نَجِدُ في المَلاحِمِ الشِّعْرِيَّةِ اليونانِيَّةِ والرُّومانِيَّةِ وفي أَسفارِ التَّوْراةِ الكَثيرَ مِنَ المَعْلوماتِ عَنْهُمْ.

أَسَّسَ الفينيقِيُّونَ مُسْتَعْمَراتٍ ومَراكِزَ حَيْثُما حَلُّوا كَمُسْتَوْطَناتٍ لَهُمْ، أَوْ كَمُسْتَوْدَعاتٍ لِبَضائِعِهِمْ. وقَدْ تَنامَتْ بَعْضُ هذِهِ المُسْتَوْطَناتِ، كَقَرْطاجَةَ عَلى الشّاطِئِ الإِفْريقِيِّ وقادِسَ عَلى السّاحِلِ الإِسْبانِيِّ، لِتُصْبِحَ مُدُنًا مُهِمَّةً مُسْتَقِلَّةً سِياسِيًّا – لكِنَّها تُشاطِرُ الوطَنَ الأُمَّ ثَقافَتَهُ وتَقاليدَهُ. وطَبيعِيٌّ أَنْ تُوَفِّرَ دِراسَةُ آثارِ هذِهِ المَراكِزِ والمُسْتَوْطَناتِ مَزيدًا مِنَ المَعْلوماتِ عَنِ الشَّعْبِ الفينيقِيِّ وحَضارَتِهِ.



فَوْقَ: ثَلاثَةُ خَواتِمَ مِنَ الذَّهَبِ المُرَصَّعِ بِالحِجارَةِ الكَريمَةِ.

نَماذِجُ مِنَ الحُلِيِّ الفينيقِيَّةِ – المَعْلَمِ البارِزِ في تِجارَةِ الفينيقِيِّين.



عِقْدانِ مِنَ الخَرَزِ المُشَكَّلِ

قُرْطانِ (حَلْقَتا أُذُن) مِنَ الذَّهَب

قُرْطٌ ذَهَبِيٌّ (على شَكْلِ حَلَقَة)

سِوارٌ ذَهَبِيٌّ

تَتَميَّزُ الخَزَفِيّاتُ الفينيقِيَّةُ باتِّخاذِ الأَشكالِ البَشَرِيَّةِ والحَيوانِيَّةِ كَجُزْءٍ مِنْ تَصاميمِها.



مَدينَةُ الفينيقِيِّينَ الأُولى

لَعَلَّ مَصْدَرَ مَعْلوماتِنا الأَوَّلَ عَنِ الفينيقِيِّينَ هُوَ ما كَشَفَتْهُ دِراساتُ الآثارِيِّينَ في مَدينَةِ بيبْلوسَ (جُبَيلَ حالِيًّا). وتُشيرُ هذِهِ الدِّراساتُ إلى أَنَّ المَدينَةَ كانَتْ مَأْهولَةً قَبْلَ العامِ ٥٠٠٠ ق.م.؛ وبذلِكَ تَكُونُ إِحْدَى أَقْدَمِ المُدُنِ في العالَمِ. كَذلِكَ تَبَيَّنَ لِلآثارِيِّينَ أَنَّهُ اسْتُبْدِلَ بِالمَساكِنِ الخَشَبِيَّةِ في هذِهِ المَدينَةِ بُيوتٌ حَجَرِيَّةٌ حَوالَي الأَلْفِ الثّالِثِ ق.م.، وأَنَّ المَدينَةَ حِينَئِذٍ كانَتْ كامِلَةً بِأَسْوارِها ومَعْبَدِها ومُزَوَّدَةً بِشَبَكَةِ تَصْريفٍ دَقيقَةِ التَّصاميمِ.

مَدينَةُ بيبْلوسَ كامِنَةٌ حَوْلَ مينائِها – ومِنْ حَوْلِها التِّلالُ الخِصْبَةُ الَّتي كانَتْ تُوَفِّرُ الغِذاءَ لِلسُّكّانِ.



وقَدْ بُنِيَتِ المَدينَةُ حَوْلَ خَليجٍ صَغيرٍ مِنْ عَديدِ الخُلْجانِ الَّتي تُؤَطِّرُها رُؤوسُ اليابِسَةِ المُمْتَدَّةُ في البَحْرِ، الَّتي هِيَ أَحَدُ أَهَمِّ مَعالِمِ الشّاطِئِ الفينيقِيِّ.

وأَمْثالُ هذِهِ المَواقِعِ هِيَ الفُضْلَى لِلْمُسْتَوْطَناتِ التِّجارِيَّةِ، إِذْ يُمْكِنُ حِمايَةُ المَدينَةِ مِنَ الهَجَماتِ البَرِّيَّةِ ــ بَيْنَما يُوَفِّرُ الخَليجُ مَلاذًا آمِنًا لِلسُّفُنِ.

ومُناخُ هذا الشّاطِئِ هُوَ المُناخُ المُسَيْطِرُ في مِنْطَقَةِ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ بِصَيْفِهِ الطَّويلِ الحارِّ وشِتائِهِ المُعْتَدِلِ. وتَزيدُ الأَنْهارُ المُتَدَفِّقَةُ مِنَ الجِبالِ القَريبَةِ في خُصوبَةِ الأَرْضِ. وقَدْ عُرِفَتْ زِراعَةُ القَمْحِ والزَّيْتونِ والكَرْمَةِ وأَشْجارِ الفاكِهَةِ المُخْتَلِفَةِ في هذِهِ المَناطِقِ مُنْذُ القِدَمِ.

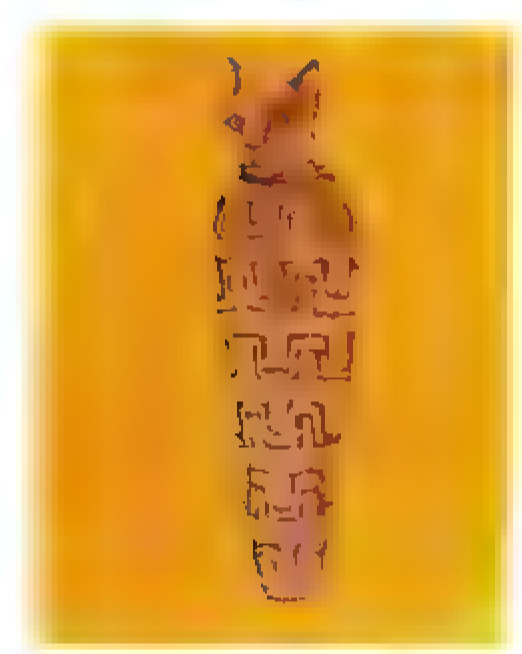
وقَدْ رَبَّى الفينيقِيُّونَ مِنَ الحَيواناتِ الدّاجِنَةِ الأَبْقارَ والأَغْنامَ والمَعْزَ والحَميرَ، كَما اعتَمَدوا عَلى صَيْدِ البَحْرِ كَمَوْرِدٍ غِذائِيٍّ غَيْرِ مَحْدودٍ.



قَديمًا كانَتْ غاباتُ الصَّنَوْبَرِ والأَرْزِ والشَّرْبينِ تُغَطّي أَنْحاءً واسِعَةً مِنْ فينيقيا وقَدِ ازْدَهَرَتْ تِجارَةُ خَشَبِ الأَرْزِ مَعَ مِصْرَ فَقَدْ كانَ المِصْرِيُّونَ القُدَماءُ يَسْتَخْدِمُونَ هذا الخَشَبَ في بِناءِ البُيوتِ والسُّفُنِ كَما إِنَّهُمْ ادَّخَرُوا راتِنْجَهُ (صَمْغَهُ) الكَثيفَ الزَّكِيَّ الرّائِحَةِ لِخاصِّيَّتِهِ المائِقَةِ في تَحْنيطِ الجُثَثِ. فَقَدْ كانُوا يَنْقَعونَ شَرائِحَ القُماشِ في هذا الرّاتِنْجِ ويَلُفّونَ بِها أَجْسادَ المُتَوَفَّيْنَ مِنْ حُكّامِهِمُ الفَراعِنَةِ فَتَخْلُدُ كَمُومْياواتٍ.

ومِنَ الشَّواهِدِ المُباشِرَةِ عَلى تِجارَةِ خَشَبِ الأَرْزِ هذِهِ ما تَرْويهِ سِجِلّاتُ البَرْدِيِّ عَنِ اسْتيرادِ الفِرْعَونِ سِنفرو حِمْلَ أَرْبَعينَ سَفينَةً مِنْ هذا الخَشَبِ مِنْ بيبلوسَ لِبِناءِ ثَلاثِ سُفُنٍ وبابٍ لِقَصْرِهِ حَوالَي العامِ ٢٧٠٠ ق.م كذلِكَ فَإِنَّ تَنْقيباتِ الآثارِيِّينَ في العامِ ١٩٥٤م كَشَفَتْ زَوْرَقًا جَنائِزِيًّا ما زالَ يَعْبَقُ بِرائِحَةِ خَشَبِ الأَرْزِ، عَلى مَقْرُبَةٍ مِنْ هَرَمِ خُوفو (المَبْنِيِّ حَوالَي العامِ ٢٥٨٠ ق م.)

فَوْق أَشْجار الأَرْز.





فَوْق: كانَ المِصْرِيُّونَ يُحَنِّطونَ أَيْضًا أَجْسادَ الحَيَواناتِ الَّتي يُقَدِّسُونَها، كالقِطَط
إلى أَسفَل: زَوْرَقُ خُوفو الجَنائِزِيّ.

مِصْرُ تُسَيْطِرُ عَلى فِينيقيا

ظَلَّتِ العَلاقاتُ التِّجارِيَّةُ مَعَ المِصْرِيِّينَ المَعْلَمَ الأَهَمَّ في الحِقْبَةِ التّالِيَةِ مِنْ تاريخِ الفينيقيِّينَ. فَمُقابِلَ خَشَبِ الأَرْزِ كانَ الفينيقيُّونَ يَتَلَقَّوْنَ الجَواهِرَ، والحُلِيَّ بِخاصَّةٍ، والمَلابِسَ وسِواهَا مِنْ أَدَواتِ الزِّينَةِ.

وتَأَثَّرَ الفينيقيُّونَ بِثَقافَةِ المِصْرِيِّينَ وأَساليبِ عَيْشِهِمْ، فَتَزَيَّوْا بالزِّيِّ المِصْرِيِّ (لَبِسُوا كَما يَلْبَسُ المِصْرِيّونَ) واسْتَخْدَموا الكِتابَةَ التَّصْويرِيَّةَ المِصْرِيَّةَ (الهيروغليفيّة). ومِنْ هذِهِ الرُّمورِ الصُّوَرِيَّةِ اسْتَنْبَطَ الفينيقيُّونَ رُموزًا صَوتِيَّةً تَطَوَّرَتْ فيما بَعْدُ إلى حُروفٍ — أَخَذَها عَنْهُمُ الإغْريقُ، فَكانَتْ أَصْلَ الأَبْجَدِيّاتِ المُسْتَخْدَمَةِ في الغَرْبِ حالِيًّا

فينيقيُّونَ تَزَيَّوا بالزِّيِّ المِصْرِيِّ.



الفينيقية	اليونانية	اللاتينية
𐤀	AA	A
𐤁	B	B
𐤂	Γ	CG
𐤃	Δ	D
𐤄	E	E
𐤅	YV	V(w)F
𐤆	Z	
𐤇	H	H
𐤈	Θ	
𐤉	I	I
𐤊	K	K
𐤋	Λ	L
𐤌	M	M
𐤍	N	N
𐤎	Ξ	
𐤏	O	O
𐤐	Π	P
𐤑		
𐤒		Q
𐤓	P	R
𐤔	Σ	S
𐤕	T	T

فَوْق: الحُروفُ الفينيقِيَّةُ الإثنانِ والعِشْرونَ التي اسْتُخْدِمَتْ في تأليفِ الأَبْجَدِيَّةِ اليونانيَّةِ ومِنْ ثَمَّ الأَبْجَدِيَّةِ اللاتينيَّةِ (الرُّومانيَّة).

إلى اليمين: صُنْعُ وَرَقِ البَرْدِيِّ.

تَأَلَّفَتِ الأَبْجَدِيَّةُ الفينيقِيَّةُ مِنِ اثْنَيْنِ وعِشْرينَ حَرْفًا بِالمُقارَنَةِ مَعَ آلافِ الرُّموزِ الصُّوَرِيَّةِ (الهيروغْليفِيَّةِ) المُخْتَلِفَةِ. وقَدِ اقْتَبَسَ الإغْريقُ هذِهِ الحُروفَ وأَدْخَلوا عَلَيْها حُروفَ الحَرَكَةِ القَصيرَةِ وتَغْييراتٍ طَفيفَةً أُخْرى فَالفينيقِيُّونَ سَمَّوْا الحَرْفَ الأَوَّلَ مِنْ أَبْجَدِيَّتِهِمْ «أَلِف» (ومَعْناها ثَوْر)، وسَمَّوْا الحَرْفَ الثَّانِيَ «بَيْت» (ومَعْناها بَيْت) وأَسْمى الإغْريقُ هذَيْنِ الحَرْفَيْنِ «أَلْفا» و«بيتا». وعَنِ الإغْريقِ أَخَذَ الرُّومانُ أَبْجَدِيَّتَهُمُ المُسْتَخْدَمَةَ حالِيًّا في أوروبا والعالَمِ الغَرْبِيِّ.

وكانَتْ صَحائِفُ الكِتابَةِ في العالَمِ القَديمِ تُصْنَعُ في غالِبِيَّتِها مِنْ وَرَقِ البَرْدِيِّ المِصْرِيِّ المَنْشَإِ. لكِنَّ الإغْريقَ عَرَفوا هذا الوَرَقَ عَنْ طَريقِ التُّجّارِ الفينيقِيِّينَ، فَأَسْمَوْهُ «بيبْلوس» ومِنْ هذِهِ اللَّفْظَةِ اشْتَقُّوا عِدَّةَ أَلْفاظٍ تَتَعَلَّقُ بِالكِتابِ أَوِ الكُتُبِ وفي حَوالَيِ العامِ ١٥٧٠ق م خَضَعَتْ فينيقيا لِلْحُكْمِ المُباشِرِ مِنْ قِبَلِ حُكّامٍ مِصْرِيِّينَ. لكِنَّ ذلِكَ لَمْ يَدُمْ طَويلًا، إِذِ انْتَهَزَ الفينيقِيُّونَ حالَةَ ضَعْفٍ انْتابَتْ مِصْرَ فَتَحَرَّروا مِنْ سَيِّدَيها واسْتَعادوا اسْتِقْلالَهُمْ حَوالَيِ العامِ ١٣٠٠ق.م.



غَزْو الأَقْوام البَحْرِيِّينَ

في حَوالَي العامِ ١٢٠٠ق.م أَدْخَلَتْ قَبائِلُ، انْطَلَقَتْ مِنَ الشَّمالِ، إلى اليونانِ أَسْلِحَةً مِنَ الحَديدِ فَقَضَتْ بِذلِكَ عَلى حَضارَةِ العَصْرِ البُرونْزِيِّ. وقَدِ اتَّخَذَ انْطِلاقُ هذِهِ القَبائِلِ شَكْلَ فَكَّيْ كَمّاشَةٍ فَرِيقٌ اتَّجَهَ نَحْوَ فينيقيا بَرًّا عَبْرَ آسِيا الصُّغْرى، بَيْنَما قَصَدَها الآخَرُ بَحْرًا.

وبَعْدَ أَنِ اسْتَوْلَتْ هذِهِ الأَقْوامُ (الَّتي يُسَمّيها المُؤَرِّخونَ «الأَقْوامَ البَحْرِيّين») عَلى فينيقيا وفِلَسْطينَ واصَلُوا زَحْفَهُمْ جَنوبًا إلى مِصْرَ – لكِنَّ الفِرْعَونَ رَمسيسَ الثّالِثَ هَزَمَهُمْ في مَوقِعَةِ بِلُوسيُوم عامَ ١١٤٩ق م.

خارِطَةٌ تُبَيِّنُ تَحَرُّكَ الأَقْوامِ البَحْرِيِّينَ عَلى شَكْلِ فَكَّي كَمّاشَةٍ لِغَزْوِ فينيقيا مِنَ الشَّمال

البحر الأسود

اليونان

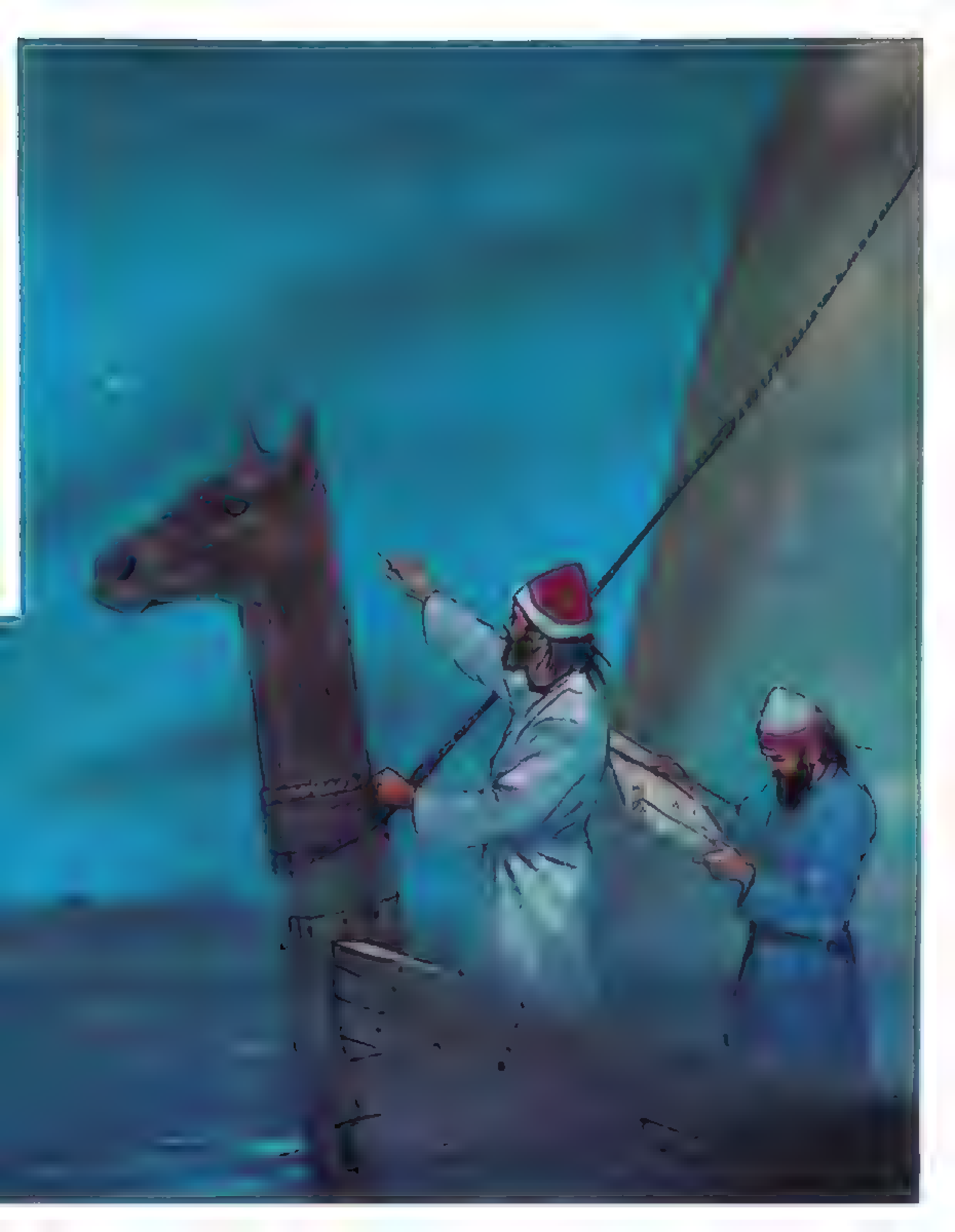
آسيا الصغرى

البحر الأبيض المتوسط

فينيقيا

فلسطين

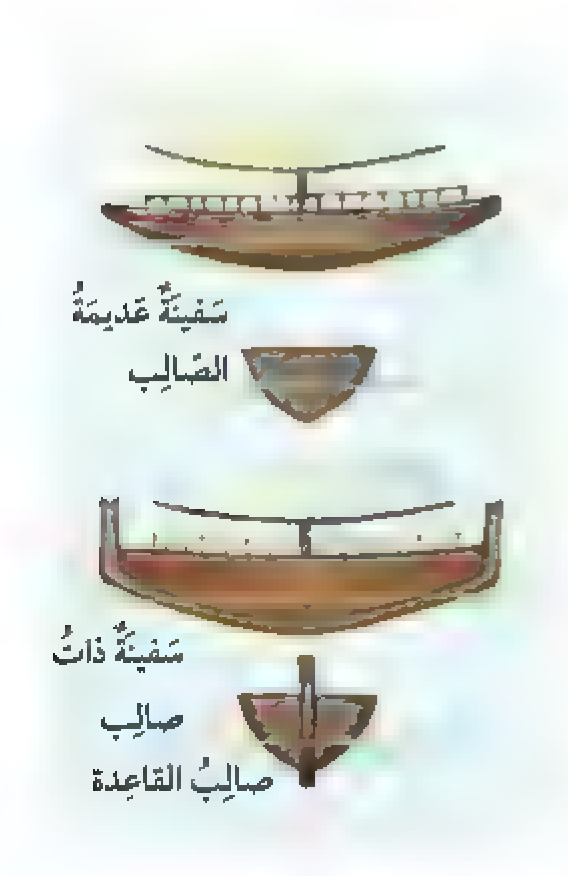
مصر



وحَلَّ قِسْمٌ مِنَ الأَقْوامِ البَحْرِيِّينَ السّاحِلَ الفِلَسْطينِيَّ، بَيْنَما اسْتَقَرَّ الباقُونَ في فينيقيا وانْدَمَجوا مَعَ السُّكّانِ الأَصْلِيِّينَ ونَقَلوا إِلَيْهِم العَديدَ مِنْ مَهاراتِهِمْ وبِخاصَّةٍ بِناءُ السُّفُنِ ورُكوبُ البَحْرِ. وبِتَوافُرِ العُدَدِ الحَديدِيَّةِ الَّتي جَلَبَها القادِمونَ، اسْتَطاعَ الفينيقِيّونَ بِناءَ سُفُنٍ مُمْتازَةٍ مِنْ خَشَبِ الأَرْزِ المَتينِ

وكانَ مِمّا تَعَلَّمَهُ الفينيقِيّونَ مِنَ المُسْتَوطِنينَ الجُدُدِ أَهَمِّيَّةُ صالِبٍ (عَمودِ القاعِدَةِ في اسْتِقْرارِ السَّفينَةِ وتَوْجيهِها. فَقَدْ كانَ المَلّاحونَ الفينيقِيّونَ قَبْلًا عاجِزينَ عَنِ اسْتِخْدامِ الأَشْرِعَةِ إِذا ما هَبَّتِ الرِّيحُ في غَيْرِ الاتِّجاهِ الصَّحيحِ، فَيُسَيِّرونَ سُفُنَهُم حينَئِذٍ بالمَجاديفِ. لكِنْ بِفَضْلِ ثِقَلِ الصّالِبِ صارَ بِالإِمْكانِ إِبْحارُ السَّفينَةِ وتَوْجيهُها بِدِقَّةٍ مُحْكَمَةٍ، مَهْما كانَ اتِّجاهُ الرِّياحِ أَوْ شِدَّتُها، دُونَ خَطَرِ انْقِلابِها. كَذلِكَ بَيَّنَ البَحْرِيّونَ لِلْفينيقِيّينَ أَنَّ تَسْييرَ السَّفينَةِ بِالمَجاديفِ يَكونُ أَسْرَعَ كَثيرًا إِذا واجَهَ المُجَدِّفونَ الكَوْثَلَ (مُؤَخَّرَ السَّفينَةِ) بَدَلَ الجُؤْجُؤِ (مُقَدَّمِ السَّفينَةِ).

وكانَ المَلّاحونَ الفينيقِيّونَ يَهْتَدونَ بِالشَّمْسِ نَهارًا وبِالنَّجْمِ القُطْبِيِّ لَيْلًا وقَدْ سَمّى الإِغْريقُ هذا النَّجْمَ «النَّجْمَ الفينيقِيَّ».



فَوْقَ مَنْظَرٌ جانِبِيٌّ وآخَرُ أَمامِيٌّ لِسَفينَةٍ مُجَهَّزَةٍ بِصالِبٍ قاعِدِيٍّ وأُخْرى عَديمَةِ الصّالِبِ

تَعاظُم أَهَمِّيَّة المُدُن الفينيقِيَّة الأُخْرَى

بَعْدَ اجْتِياحِ الأَقْوامِ البَحْرِيِّينَ لِمَدينَةِ بيبْلوسَ بَرَزَتْ مَدينَتا صُورَ وصَيْدا، بِخاصَّةٍ، إلى مَسْرَحِ الأَحْداثِ. فَفي حَوالَي العامِ ١٠٠٠ ق.م. نَقَلَ حِيرامُ مَلِكُ صُورَ مَدينَتَهُ مِنَ البَرِّ السّاحِلِيِّ إلى جَزيرَةٍ أَنْشَأَها فَوْقَ جَزيرَتَيْنِ صَخْرِيَّتَيْنِ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنَ الشّاطِئِ؛ وجَعَلَ لِمَدينَتِهِ ميناءَيْنِ في جانِبَيْها الشَّمالِيِّ والجَنوبِيِّ. وهكذا غَدَتْ صُورُ قَلْعَةً مينائِيَّةً مُحَصَّنَةً ضِدَّ الاِعْتِداءاتِ البَرِّيَّةِ والبَحْرِيَّةِ.

كَذلِكَ يُلاحَظُ أَنَّ المُدُنَ الفينيقِيَّةَ الأُخْرَى أُقيمَتْ في مَواقِعَ مَنيعَةٍ. فَقَدْ أُقيمَتْ مَدينَتا صَيْدا وطَرابُلُسَ عَلى رَأْسَيْ بَرٍّ، وقامَتْ بَيْروتُ عَلى ساحِلٍ بَحْرِيٍّ، أَمّا أَرادُسُ فَقَدْ بُنِيَتْ فَوْقَ جَزيرَةٍ.

هكَذا، وبِفَضْلِ مَوانِئِهِمُ الحَصينَةِ هذِهِ وسُفُنِهِمُ المُمْتازَةِ ومَلّاحيهِمُ المَهَرَةِ، كانَ الفينيقِيُّونَ في وَضْعٍ يُؤَهِّلُهُمْ لِلْمُتاجَرَةِ عَبْرَ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ وحَوْضِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ. وهُمْ كانُوا بِالفِعْلِ سادَةَ التِّجارَةِ في هذِهِ المِنْطَقَةِ مِنَ العامِ ١٠٠٠ ق.م. حَتَّى العامِ ٣٥٠ ق.م.



نَقْشٌ بارِزٌ مِنْ بِلادِ آشُورَ يُمَثِّلُ مَدينَةً فينيقِيَّةً



خَريطَةٌ لِمَدينَةِ صُورَ تُبَيِّنُ خَطَّيِ الساحِلِ القَديمَ والحَديثَ، وكَذَلِكَ المَعْبَرَ التُّرابِيَّ (جِسْرَ الإِسْكَنْدَر) بَيْنَ صُورَ واليابِسَة (أُنظُر الصَّفْحَتَيْن ٤٠ و٤١)

العَصْرُ الذَّهبيّ للتِّجارَة الفينيقِيَّة

لَعَلَّ أَبْلَغَ وَصْفٍ لِتِجارَةِ الفينيقِيِّينَ هُوَ ما جاءَ عَلى لِسانِ الأَنْبِياءِ في التَّوْراةِ. فَقَدْ كَتَبَ النَّبِيُّ حِزْقِيالُ، في حَوالَي العامِ ٥٧٠ ق.م ، يَقُولُ: «وتَأْتي السُّفُنُ الفينيقِيَّةُ حامِلَةً الذَّهَبَ مِنَ اليَمَنِ، والفِضَّةَ مِنْ آسِيا الصُّغْرى وإسْبانيا، والقَصْديرَ والرَّصاصَ مِنْ إسْبانيا وما وَراءَها مِنَ الجُزُرِ، والقُماشَ الفاخِرَ مِنْ مِصْرَ، والآبَنُوسَ والعاجَ مِنْ إفريقيا والهِنْدِ، والسَّجّادَ مِنْ بِلادِ فارِسَ، والأَفاويَةَ (مَوادّ عِطْرِيَّة) والتَّوابِلَ والحِجارَةَ الكَريمَةَ مِنْ شِبْهِ الجَزيرَةِ العَرَبِيَّةِ، والرَّقيقَ والخَيْلَ مِنْ آسِيا الصُّغْرى، والماشِيَةَ والأَغْنامَ والقَمْحَ مِنْ سُوريا وفِلَسْطين» إلى جانِبِ سِلَعٍ وبَضائِعَ أُخْرَى كَثيرَةٍ يَذْكُرُها.

بَيْدَ أَنَّ الفينيقِيِّينَ لَمْ يُتاجِروا فَقَطْ بِسِلَعِ الآخَرينَ، فَقَدْ كانَتْ مُدُنُهُمْ تُنْتِجُ الكَثيرَ مِنَ الكَمالِيّاتِ وأَدَواتِ التَّرَفِ. وكانَ مِنْ أَشْهَرِها الصِّبْغُ الأُرْجُوانِيُّ المُسْتَخْرَجُ مِنْ مَحارٍ قَواقِعَ صِغارٍ (مِنْ جِنْسِ ميُورِكْس) لا تَزالُ مُتَواجِدَةً عَلى مَقْرُبَةٍ مِنَ الشّاطِئِ حَوْلَ صَيْدا وصُوْرَ.



فَوْق مَحارَتانِ بَحْرِيَّتانِ من جِنْسِ ميُورِكس
إلى أَسفل خَريطَةٌ تُبَيِّنُ اِتِّساعَ مَدَى التِّجارَةِ الفينيقِيَّةِ في عَصرِها الذَّهَبيّ

أوروبا الشمالية
آسيا
فرنسا
إيطاليا
إسبانيا
اليونان
بلاد فارس
آسيا الصغرى
وادي الرافدين
(ما بين النهرين)
سوريا
قادس
قرطاجة
طنجة
فلسطين
شمال إفريقيا
شبه الجزيرة العربية
مصر
إفريقيا

صَبْغُ القُماشِ بالأُرْجُوان المُستَخْرَج مِنْ مَحار الميُورِكْس.

تَحْوي مَحارُ قَواقِعِ الميُورِكْس سائِلًا أَصْفَرَ تُلَوَّنُ بِهِ الأَقْمِشَةُ ما بَيْنَ الأَحْمَرِ الوَرْدِيِّ والبَنَفْسَجِيِّ الغامِقِ تَبَعًا لِكَمِّيَّةِ السّائِلِ المُسْتَخْدَمِ ومُدَّةِ تَعْريضِ القُماشِ لِلشَّمْسِ.

وهذا الخِضابُ عَزيزُ المَنالِ إِذْ يَنْبَغي مُعالَجَةُ آلافٍ مِنْ مَحارِ الميُورِكْس لِصَبْغِ الثَّوْبِ الواحِدِ. وقَدْ غَدا قُماشُ فينيقِيا الأُرْجُوانِيُّ الباهِظُ الثَّمَنِ مِنَ الكَمالِيّاتِ الَّتي يَشْتَدُّ الإِقْبالُ عَلَيْها بِخاصَّةٍ لِعَدَمِ تَوافُرِ خِضابٍ أُرْجُوانِيٍّ بَديلٍ وقَدْ ظَلَّ اسْتِخْدامُ الثِّيابِ الأُرْجُوانِيَّةِ لِفَتْرَةٍ طَويلَةٍ مُقْتَصِرًا على عِلْيَةِ القَوْمِ مِنْ حُكّامٍ وأَباطِرَةٍ في عُهودِ الإِغْريقِ والرُّومانِ الأَقْدَمينَ.

ويُسْتَدَلُّ عَلى ضَخامَةِ هذِهِ الصِّناعَةِ مِنْ أَكْوامِ المَحارِ الهائِلَةِ الَّتي كَشَفَها الآثارِيُّونَ حَوْلَ شَواطِئِ صَيْدا وصُوْرَ. وبَلَغَ مِنْ أَهَمِّيَّةِ هذا الصِّبْغِ أَنْ أَطْلَقَ الإِغْريقُ اِسْمَهُ بِاليونانِيَّةِ عَلى الشَّعْبِ الفينيقِيِّ فَكَلِمَةُ «أُرْجُوان» تُقابِلُها لَفْظَةُ «فونيقُوس» بِتِلْكَ اللُّغَةِ.



فَوْقَ: الزِّيُّ الرَّسْمِيُّ لأَعضاءِ مَجْلِسِ الشُّيوخِ الرُّومانِيِّينَ.

نَماذِجُ ثلاثةٌ مِنَ الأَواني الزُّجاجيَّةِ الفينيقيَّةِ



وكانَتِ الأَواني الزُّجاجِيَّةُ مِنَ السِّلَعِ الكَمالِيَّةِ الأُخْرى الَّتي صَنَّعَها الفينيقِيُّونَ. وقَدِ اكْتُشِفَ في كُلٍّ مِنْ صَيْدا وصُورَ بَعْضُ مَعامِلِ الزُّجاجِ تِلْكَ. وقَدْ عَثَرَ الآثارِيُّونَ العامِلُونَ في مُخْتَلِفِ بُلْدانِ حَوْضِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ والشَّرْقِ الأَوْسَطِ عَلى كَثيرٍ مِنْ هٰذِهِ المَصْنوعاتِ الفينيقِيَّةِ المَنْشَإِ. لَقَدْ تَعَلَّمَ الفينيقِيُّونَ صِناعَةَ الزُّجاجِ مِنَ المِصْرِيِّينَ؛ وبِاسْتِخْدامِهِمْ رَمْلَ شَواطِئِهِمُ الغَنِيَّ بِأُكْسيدِ السِّليكا تَفَوَّقُوا بِإِنْتاجِ زُجاجٍ أَنْقَى وأَصْفَى.

كَذلِكَ بَرَعَ الحِرَفِيُّونَ الفينيقِيُّونَ في المَشْغولاتِ الحَديدِيَّةِ، واشْتُهِروا بِها. وقَدْ عُثِرَ عَلى أَمْثالِ هٰذِهِ المَشْغولاتِ مِنَ الأَسْلِحَةِ والطّاساتِ المُزَخْرَفَةِ، إِلى الأَساوِرِ والقَلائِدِ الذَّهَبِيَّةِ والفِضِّيَّةِ والبُرونْزِيَّةِ والحَديدِيَّةِ، في شَتَّى أَرْجاءِ العالَمِ القَديمِ. وقَدْ كَتَبَ الشاعِرُ الإِغْريقِيُّ الشَّهيرُ هُوميروس (في حَوالَي القَرْنِ الثامِنِ ق.م.) يَصِفُ إِناءً فِضِّيًّا، فَقالَ: «لَعَلَّهُ أَجْمَلُ ما يُمْكِنُكَ مُشاهَدَتُهُ، مِنْ أَمْثالِهِ، في هٰذا العالَمِ الواسِعِ – صاغَتْهُ أَيْدي فَنّاني صَيْدا المَهَرَةِ... وحَمَلَهُ إِلَيْنا الفينيقِيُّونَ عَلى مَتْنِ الأَمْواجِ العاتِيَةِ».

وقَدْ عُثِرَ عَلى الكَثيرِ مِنْ أَدَواتِ الزِّينَةِ العاجِيَّةِ، الفينيقِيَّةِ المَنْشَإِ، بِخاصَّةٍ في بِلادِ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ؛ كَما اشْتُهِرَتْ مَشاغِلُ الفَخّارِ الفينيقِيَّةُ بِمَصْنوعاتِها الخَزَفِيَّةِ الَّتي غالِبًا ما كانَتْ تُزَيِّنُها صُوَرٌ مِنْ حَضاراتِهِمْ.



وِعاءٌ مَعدِنيٌّ اكْتُشِفَ في بيبْلوس.

أَقْنِعَةٌ خَزَفِيَّةٌ مِنَ الطِّينِ الأَحمَرِ المَحْروقِ



الاتّصالُ الأوّلُ: التُّجارُ الفينيقيُّونَ يَنْتظِرونَ في سُفُنِهِمْ بَيْنَما السُّكّانُ المَحَلِّيُّونَ يَسْتَعْرِضونَ البِضاعَةَ ويُقيِّمونَها.

كانَ الفينيقِيُّونَ على جانِبٍ مِنَ الوَسامَةِ ذَوي شَعْرٍ جَعْدٍ ومَلامِحَ مُتَوَسِّطِيَّةٍ مَشْرِقِيَّةٍ. وكانَ الرِّجالُ يَرْتَدُونَ الجَلابيبَ القَصيرَةَ تَحْتَ مَعاطِفَ طَويلَةٍ، وكانُوا مُلْتَحينَ في الغالِبِ ويُرْخُونَ شُعورَهُمْ طَويلَةً تَحْتَ طَواقٍ مَخْروطِيَّةٍ على رُؤوسِهِم. أمّا النِّساءُ فَكُنَّ يَلْبَسْنَ أَثْوابًا فَضْفاضَةً تُخَصِّرُها الأَحْزِمَةُ عادَةً. وكُنَّ مُغْرَماتٍ بِالحُلِيِّ ويُضَفِّرْنَ شُعورَهُنَّ جَدائِلَ (ضَفائِرَ). وكانَ أَثَرُ المِصْرِيِّينَ وأَهْلِ وادِي الرّافِدَيْنِ واضِحًا في أَزْياءِ الفينيقِيِّينَ وتَقاليدِهِمْ. ويَذْكُرُ هُوميروسُ أَنَّ مَلابِسَ الفينيقِيِّينَ كانَتْ في الغالِبِ زاهِيَةَ الأَلْوانِ.

وغَنِيٌّ عَنِ الذِّكْرِ أَنَّ تِجارَةَ الفينيقِيِّينَ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلى الكَمالِيّاتِ، فَقَدْ كانَتْ سُفُنُهُمْ تَحْمِلُ كُلَّ ما يُمْكِنُ أَنْ يَجْنِيَ التُّجّارُ مِنْهُ رِبْحًا. ولَمْ تَكُنْ أَساليبُ التَّعامُلِ الفينيقِيَّةُ دائِمًا كَما يَنْبَغي. فَقَدْ رَوَى هُوميروسُ أَنَّ تجّارَةً فينيقِيِّينَ مَكَرُوا بِالبَطَلِ اليُونانِيِّ أُودِيسُّوس وأَخَذوه عَلى إِحْدَى سُفُنِهِمْ بِهَدَفِ بَيْعِهِ كَرَقيقٍ. لكِنْ لِحُسْنِ حَظِّهِ ضَرَبَتِ السَّفينَةَ صاعِقَةٌ فَتَمَكَّنَ مِنَ الفِرارِ.



لكِنَّ التِّجارَةَ النّاجِحَةَ تَعْتَمِدُ عَلى الثِّقَةِ بَيْنَ المُتَعامِلينَ؛ ويَرْوي المُؤَرِّخُ اليونانِيُّ هيرودوتُس (حَوالَي القَرْنِ الخامِسِ ق م.) كَيْفَ كانَ التُّجّارُ الفينيقِيُّونَ المُنْطَلِقونَ مِنْ قَرْطاجَةَ، إحْدى مُسْتَعْمَراتِهِمْ، يُرَسِّخونَ هذِهِ الثِّقَةَ مَعَ المَناطِقِ الَّتي يَزورونَها لِلمَرَّةِ الأولى:

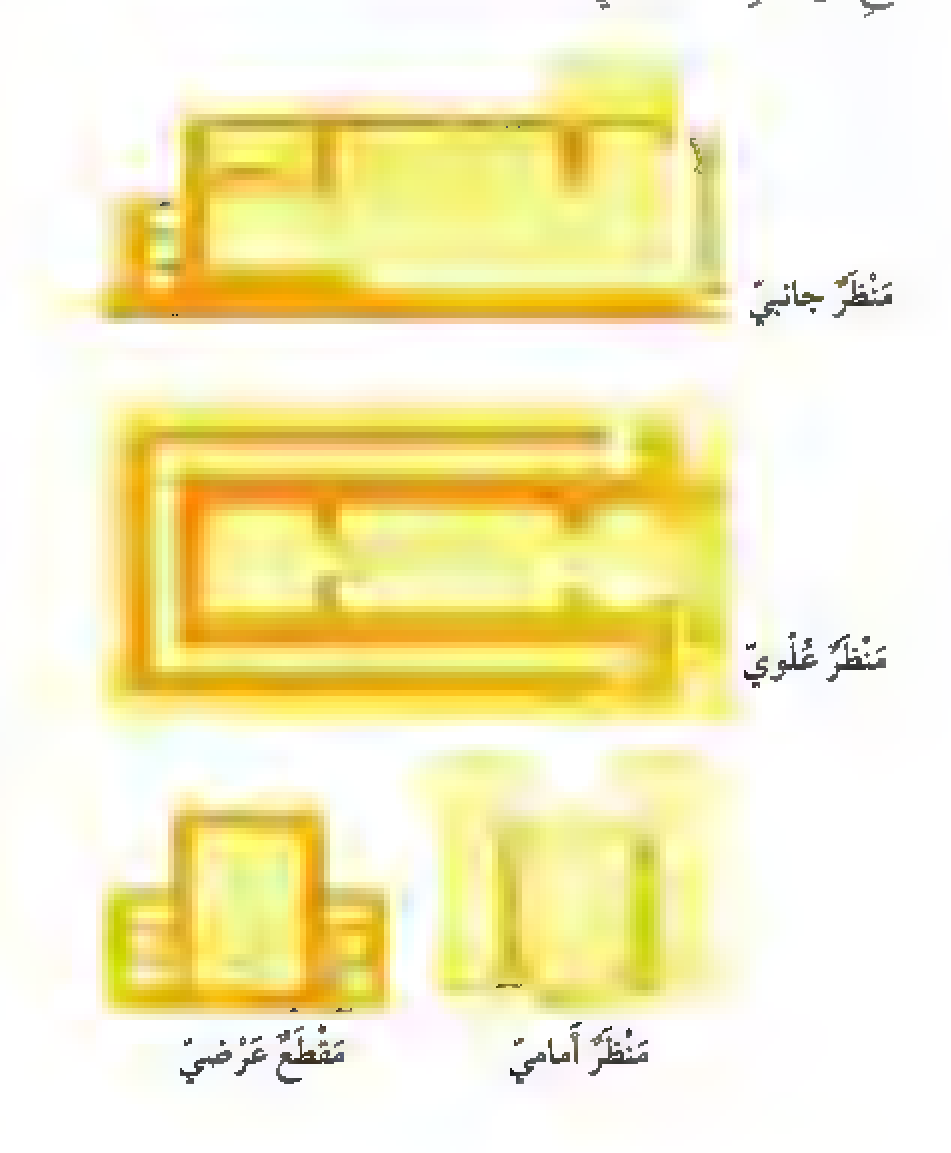
«حينَ يَنْزِلُ التُّجّارُ أَرْضًا غَريبَةً كانوا يُفْرِغونَ بَضائِعَهُمْ ويَنْشُرونَها عَلى الشّاطِئِ، ثُمَّ يوقِدونَ نارًا كَثيفَةَ الدُّخانِ ويَعودونَ إلى سُفُنِهِمْ. وعِنْدَما يُشاهِدُ السُّكّانُ المَحَلِّيّونَ الدُّخانَ يُهْرَعونَ إلى الشّاطِئِ فَيَسْتَعْرِضونَ البَضائِعَ ويَتْرُكونَ مُقابِلَها قَدْرًا مِنَ الذَّهَبِ، ويَبْتَعِدونَ ثُمَّ يَأْتي التُّجّارُ، فإنْ أَرْضاهُمُ الذَّهَبُ المُقايَضُ أَخَذوهُ وأَبْحَروا - وإلّا فإنَّهُمْ يَتْرُكونَهُ ويَعودونَ إلى الإنْتِظارِ في سُفُنِهِمْ. وفي هذِهِ الحالِ يَجيءُ الأهالي فَيَزيدونَ الذَّهَبَ؛ وهكَذا حَتّى تَتِمَّ الصَّفْقَةُ ويَقْتَنِعَ كُلُّ جانِبٍ بِأَنَّهُ قَدْ أُنْصِفَ».

الزِّيُّ التَّقْليدِيُّ الفينيقِيُّ لِلرِّجالِ والنِّساءِ.

دِيانَةُ الفينيقِيِّينَ

تأَثَّرَتْ دِيانَةُ الفينيقِيِّينَ إلى حَدٍّ بَعيدٍ بِالدِّياناتِ الَّتي كانَتْ سائِدَةً في مِصْرَ وآسِيا الصُّغْرى وَبلادِ ما بَيْنَ النَّهْرَيْنِ. وتَذْكُرُ أَلْواحُ أوغاريتَ أَسْماءَ كَثيرٍ مِنْ أُولئِكَ الآلِهَةِ — تَتَمَثَّلُ في غالِبِيَّتِهِمْ قُوى الطَّبيعَةِ حُلْوُها ومُرُّها

وقَدْ كَشَفَ الآثارِيُّونَ مَعْبَدًا في تَلِّ التِّيناتِ في شَمالي سُوريا يَعُودُ عَهْدُهُ إلى القَرْنِ التّاسِعِ قَبْلَ المِيلادِ ويَبْدو مِنْ مَلامِحِ هذا المَعْبَدِ عَلى صِغَرِهِ أَنَّ هَيْكَلَ سُلَيْمانَ، الَّذي ساعَدَ في بِنائِهِ حِيرامُ مَلِكُ صُورَ بِالإضافَةِ إلى حاكِمَيْ صَيْدا وبِيبْلُوس، قَدْ شُيِّدَ عَلى نَسَقِ المَعابِدِ الفينيقِيَّةِ. فَقَدْ قَدَّمَ الفينيقِيُّونَ المُهَنْدِسينَ والبَنّائينَ والنَّجّارينَ وخَشَبَ الأَرْزِ إلى المَلِكِ سُلَيْمانَ، لِبِناءِ هَيْكَلِهِ، مُقابِلَ القَمْحِ والزَّيْتِ وبَعْضِ المَنْتوجاتِ الزِّراعِيَّةِ الأُخْرى وكانَتِ النَّتيجَةُ هَيْكَلًا رائِعًا تَجِدُ وَصْفَهُ مُفَصَّلًا في الفَصْلِ السّابِعِ مِنْ سِفْرِ المُلوكِ في التَّوْراةِ



إلى اليَمين رُسومٌ هَنْدَسِيَّةٌ تُبَيِّنُ مَعالِمَ هَيْكَلِ سُلَيْمانَ الَّذي صَمَّمَهُ وشَيَّدَهُ المُهَنْدِسونَ والبَنّاؤونَ الفينيقِيُّونَ عَلى نَسَقِ مَعابِدِهِم. حَوالي العام ٩٦٠ ق م
عَلى الصَّفحة المُقابِلَة: المَدْخَلُ الرَّئيسيُّ لِهَيْكَلِ المَلِكِ سُلَيمان، ويَتَبَيَّنُ مِنْ حَجْمِهِ الكَبيرِ مَدى ضَخامَةِ ذلِكَ الهَيْكَلِ.



والَّذي يُعَسِّرُ مُتابَعَةَ تطَوُّرِ الدِّيانَةِ الفينيقِيَّةِ هُوَ أَنَّ آلِهَتَهُمُ الرَّئيسِيِّينَ الثَّلاثَةَ لَهُمْ أَسْماءٌ مُخْتَلِفَةٌ في مُخْتَلِفِ المُدُنِ الفينيقِيَّةِ. فَإِيلُ (الَّذي سَمَّوْهُ في صَيْدا بَعْل) كانَ كَبيرَ الآلِهَةِ، وهُوَ إِلهُ الشَّمْسِ عِنْدَهُمْ وقَدْ مَثَّلوهُ أَحْياناً عَلى شَكْلِ ثَورٍ. أَمّا كَبيرةُ الآلِهَةِ زَوْجَتُه فَأَسْمَوْها عَشْتارْتَ (بَلاتَ في بيبْلوس) وكانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّها تَسْكُنُ البَحْرَ. وكانَ وَلَدُهُما بَعْلُ (أدونيسُ في بيبْلوسَ، ومِلْكارْتُ في صُورَ، وإِشْمونُ في صَيْدا) إِلهَ العَواصِفِ والجِبالِ وكانَ يُوصَفُ بالشَّجاعَةِ والقُوَّةِ؛ وتُبَيِّنُهُ التَّماثيلُ بِقَرْنَيْنِ يَحْمِلُ في يَدٍ هِراوَةً ويَقْذِفُ صاعِقَةً بِالأُخْرى.

وكانوا يَعْتَقِدونَ أَنَّ بَعْلَ يَموتُ في الخَريفِ والشِّتاءِ (حينَ يَصْفَرُّ النَّبْتُ وتَحْمَرُّ مِياهُ الأَنْهارِ الفينيقِيَّةِ بِطينِ السُّفوحِ الَّذي تَجْلِبُهُ رَوافِدُها كَأَنَّها دِماؤُهُ) ويُبْعَثُ في الرَّبيعِ والصَّيْفِ (مَعَ انْتِعاشِ النَّبْتِ وصَفاءِ مِياهِ الأَنْهارِ)، فَتُقامُ لَهُ الإِحْتِفالاتُ في المَعابِدِ.

ولاحِقًا غَدا بَعْلُ الأَهَمَّ بَيْنَ آلِهَةِ الفينيقِيِّينَ في شَتَّى مُدُنِهِمْ ومُسْتَعْمَراتِهِمْ، وبِخاصَّةٍ قَرْطاجَةُ. ونَذْكُرُ أَنَّ اسْمَ القائِدِ القَرْطاجِيِّ الشَّهيرِ هَنيبَعْلَ يَعْني «مَحْبُوبَ بَعْل».

ومِنْ آلِهَةِ الفينيقِيِّينَ الأَقَلِّ أَهَمِّيَّةً يُذْكَرُ شوسُورُ مالِكُ البَحْرِ، وراسِفُ ضابِطُ البَرْقِ والرَّعْدِ، وداغُونُ إِلهُ القَمْحِ، وشَدْرايا راعي الأَطِبّاءِ، وغَيْرُهُم كَثيرٌ.



فَوْقَ قِطْعَةُ نَقْدٍ مَعْدِنِيَّةٌ تَحْمِلُ عَلى أَحَدِ وَجْهَيْها رَسْمَ مِلْكارْت كَبيرِ آلِهَةِ صُور، وعَلى الوَجْهِ الآخَرِ النَّخْلَةَ والحِصانَ شِعارَيْ قَرْطاجَةَ

تَمْثال بَعْل

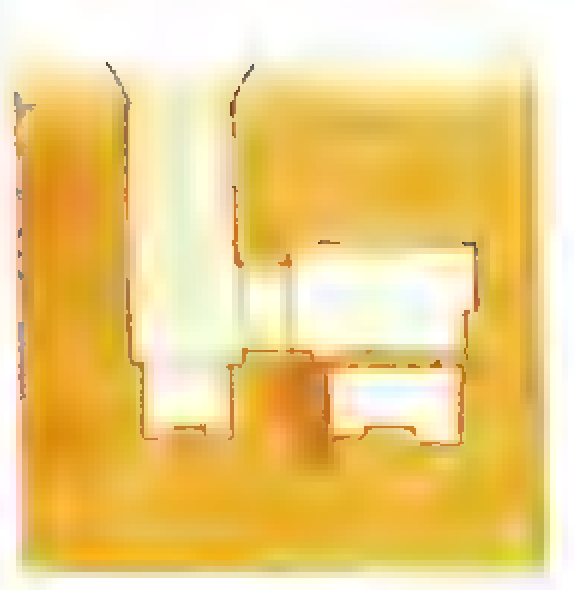
تَماثيلُ لِبَعْضِ الآلِهَةِ المَحلِّيِّينَ





وَلَمْ يَكُنِ الفينيقِيُّونَ يَتَعَبَّدُونَ في المَعابِدِ فَقَطْ، بَلْ كانُوا يُقيمونَ الشَّعائِرَ أَيْضًا في الهَواءِ الطَّلْقِ في مَشاعِرَ يُسَمُّونَها «تُوفِت». وكانَ تَقْديمُ القَرابينِ – مِنَ الحَيواناتِ، والأَطْفالِ أَحْيانًا– جُزْءًا أَساسِيًّا في طُقُوسِهِمْ. وقَدْ عَثَرَ الآثارِيُّونَ في قَرْطاجَةَ عَلى آلافِ القَواريرِ الَّتي تَضُمُّ رُفاتَ وعِظامَ الأَطْفالِ الضَّحايا — ويَبْدو أَنَّ القَرابينَ البَشَرِيَّةَ فيها كانَتْ أَكْثَرَ مِمَّا في سِواها مِنَ المُدُنِ الفينيقِيَّةِ.

وكانَ الفينيقِيُّونَ يَدْفِنونَ مَوْتاهُمْ في دَياميسَ (أَمْكِنَةٍ تَحْتَ الأَرْضِ لَا يَنْفُذُ إِلَيْها النُّورُ) تَتَّصِلُ بِمَهْواةٍ (فُتْحَةٍ) عَمُودِيَّةٍ يَحْفِرونَها في سُفوحِ التِّلالِ الصَّخْرِيَّةِ المُجاوِرَةِ. وكانوا يَضَعُونَ مَعَ الرَّجُلِ سِلاحَهُ، ومَعَ المَرْأَةِ حُلِيَّها والأَدَواتِ المَطْبَخِيَّةَ الَّتي قَدَّروا الحاجَةَ إِلَيْها في العالَمِ الآخَرِ.



فَوْق: مَقْطَعٌ طُولِيٌّ لِقَبْرٍ دِيماسِيٍّ في صَيْدون

إلى أَسفل: التَّابُوتُ الحَجَرِيُّ الَّذي دُفِنَ فيهِ مَلِكُ بِيبْلوس

السِّياسَة ونِظام الحُكْم

كانَ الإتِّصالُ بَيْنَ المُدُنِ الفينيقيّةِ السّاحِلِيَّةِ، حَتّى الفَتْحِ الرُّومانِيِّ في القَرْنِ الأَوَّلِ ق.م، يَكادُ يَقْتَصِرُ عَلى التَّواصُلِ بَحْرًا، لِانْعِدامِ الطُّرُقِ البَرِّيَّةِ فيما بَيْنَها. لِذا كانَ تَطَوُّرُ تِلْكَ المُدُنِ مُتَفَرِّدًا بِهُوِيَّةٍ وتَقاليدَ مُتَمَيِّزَةٍ. فَقَدْ كانَ لِكُلِّ مَدينَةٍ مَلِكُها وأُسْرَتُهُ الحاكِمَةُ. وحِينَ كانَتْ قَراراتُ أَحَدِ المُلوكِ تَتَوافَقُ مَعَ مَلِكٍ آخَرَ، بِخاصَّةٍ في أُمورٍ تَتَعَلَّقُ بِالتِّجارَةِ، كانا يَتَحالَفانِ. وكانَ لِهذا التَّواصُلِ السِّياسِيِّ المَحْدودِ أَثَرُهُ السَّلْبِيُّ كُلَّما كانَتْ إحْدَى هذِهِ المُدُنِ تَتَعَرَّضُ لِخَطَرِ عَدُوٍّ يَفوقُها قُوَّةً.

في القَرْنِ التّاسِعِ ق.م أَصْبَحَتْ بِلادُ آشورَ القُوَّةَ الأَهَمَّ في الشَّرْقِ الأَوْسَطِ. وقَدْ تَمَّ لِلْمَلِكِ الأَشورِيِّ أَشور ناصِرْبال الإسْتيلاءُ عَلى المُدُنِ الفينيقِيَّةِ واحِدَةً تِلْوَ الأُخْرَى وضَمُّها إلى إمْبراطورِيَّتِهِ عامَ ٨٧٧ ق.م لكِنَّهُ سُمِحَ لِهذِهِ المُدُنِ بِحُرِّيَّةِ الإدارَةِ والتِّجارَةِ ما دامَتْ تُؤَدّي الضَّرائِبَ والمُكوسَ إلى العاصِمَةِ الأشورِيَّةِ نِينَوى.



فَوْق: خَريطَةُ بِلادِ آشورَ وفينيقيا.

إلى أسْفَل رَسْمٌ بُرونْزِيٌّ بارِزٌ يُمَثِّلُ مَبْعوثِينَ فينيقِيِّينَ يُؤَدُّونَ الضرائِبَ إلى المَلِكِ الأشورِيِّ

المُسْتَعْمَرات الفينيقِيَّة

تقولُ الرِّوايَةُ إِنَّ الأميرَةَ أَليسارَ هَرَبَتْ مِنْ صُوْرَ بَعْدَ مَقْتَلِ زوجِها لِتُؤَسِّسَ قَرْطاجَةَ على خَليجِ تُونَسَ في شمالِ إفْريقِيا

كانَ الفينِيقِيُّونَ سادَةَ البِحارِ والتِّجارَةِ في حَوْضِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ. وقَدْ أَسَّسوا لَهُمْ مُنْذُ القَرْنِ الثّانِيَ عَشَرَ ق م. مُسْتَوْطَناتٍ تَحُلُّ فيها أَساطِيلُهُمْ ومَراكِزَ يُخَزِّنونَ فيها بَضائِعَهُمْ. وكانوا يَخْتارونَ لَها المَواقِعَ السّاحِلِيَّةَ المُحاذِيَةَ لِأَراضٍ خَصيبَةٍ وَفيرَةِ المِياهِ العَذْبَةِ. وكانَتِ المُسْتَوْطَناتُ شَبيهَةً بِالمُدُنِ الفينِيقِيَّةِ قَلَّما تَبْعُدُ واحِدَتُها عَنِ الأُخْرى أَكْثَرَ مِنْ مَسيرَةِ يَوْمٍ بَحْرًا.

ولَعَلَّ أَشْهَرَ هذِهِ المُسْتَوْطَناتِ هِيَ قَرْطاجَةُ الَّتي يُعْزَى تَأْسيسُها إلى الأَميرَةِ أَليسارَ أُخْتِ بيغْماليُونَ مَلِكِ صُوْرَ. ويُقالُ إِنَّ أخاها قَتَلَ زَوْجَها فهرَبَتْ إلى قُبْرُصَ ثُمَّ إلى شَمالِ إفْريقيا حَيْثُ أَسَّسَتْ مَدينَةَ قَرْطاجَةَ (أَيْ المَدينَةَ الجَديدة بِالمُقارَنَةِ مَعَ المَدينَةِ الأَقْدَمِ يُوتيكا) حَوالَي العامِ ٨١٤ ق م. وقَدْ تَنامَتْ تِجارَةُ قَرطاجَةَ وقُوَّتُها فصارَتْ، حَوالَي العامِ ٥٠٠ ق م.، إحْدَى أَهَمِّ المُدُنِ في حَوْضِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ تُشاطِرُ الوَطَنَ الأُمَّ الكَثيرَ مِنْ عاداتِهِ وتَقاليدِهِ ومُعْتَقَداتِهِ.







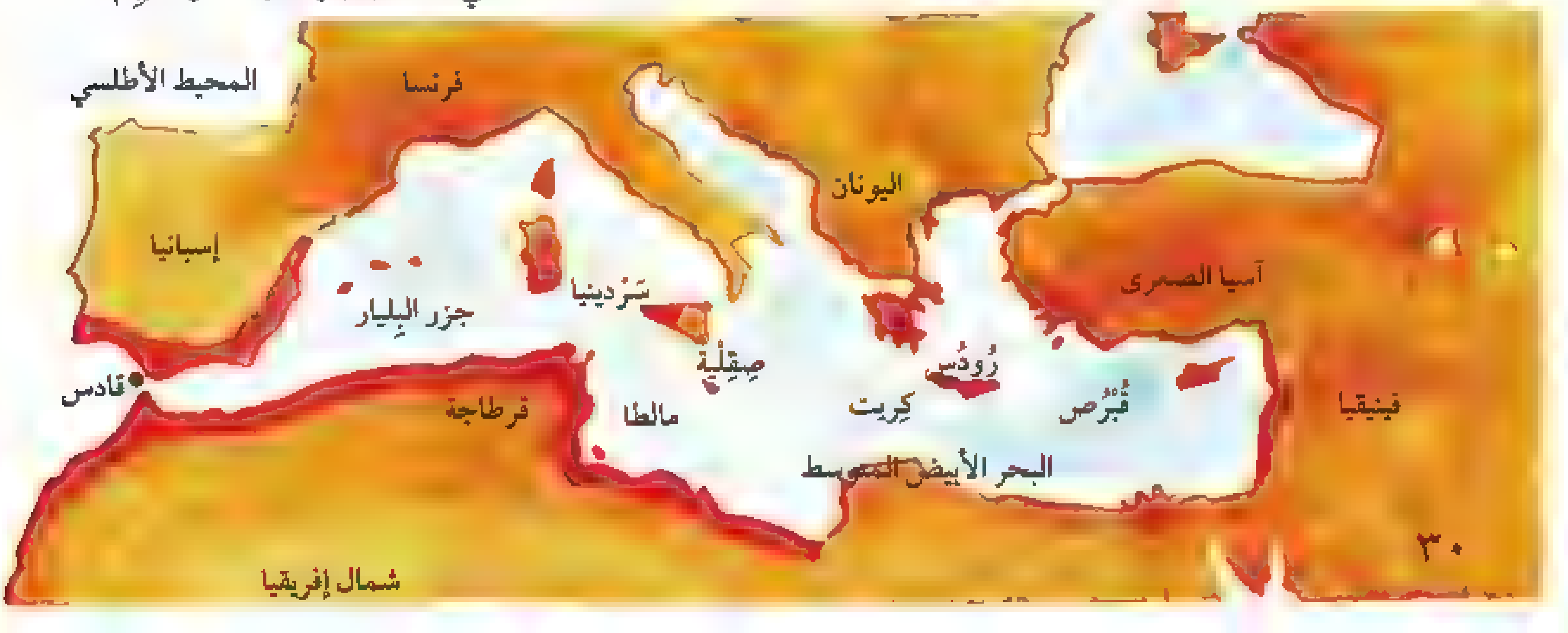
لَقَدْ أُنْشِئَتِ المُسْتَوطَنَاتُ الفينيقِيَّةُ الأُولى في الجُزْءِ الشَّرقيِّ مِنَ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ في قُبْرُص وَرُودُس وبَعْضِ الجُزُرِ اليونانِيَّةِ وسُرْعانَ ما شَمَلَتْ هذِهِ المُسْتَوطَنَاتُ السّاحِلَ الإفْريقِيَّ وجُزُرَ مالْطَةَ وسَرْدينيا وصِقِلْيَةَ وجُزُرَ البِلْيارِ، وامْتَدَّتْ إلى إسْبانيا، مَصْدَرِ الحَديدِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ الَّتي وَفَّرَتِ المَوادَّ الخامَ لِلسِّلَعِ الرّائِجَةِ الثَّمينَةِ الَّتي صَنَّعها الفينيقِيُّونَ.

وقَدْ أَبْحَرَ التُّجّارُ الفينيقِيُّونَ عَبْرَ المُحيطِ الأَطْلَسِيِّ شَمالًا لِجَلْبِ القَصديرِ مِنَ الجُزُرِ البريطانِيَّةِ، وجَنُوبًا لِلْمُتاجَرَةِ مَعَ أَقْوامِ ساحِلِ إفْريقيا الغَرْبِيِّ. ويُقالُ إنَّ الفينيقِيّينَ عَبَروا الأَطْلَسِيَّ غَرْبًا وحَلُّوا في الأَمْريكَتَيْنِ الشَّمالِيَّةِ والجَنُوبِيَّةِ قَبْلَ أن «يَكْتَشِفَ» كُولُمْبُسُ أَمْرِيكا بِحَوالَي أَلْفَيْ عامٍ.

وقَدِ اسْتَمَرَّتْ سَيْطَرَةُ قَرْطاجَةَ عَلى غَرْبِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ حَتّى تَحَدَّتْها رُوما في الحُروبِ البُونِيَّةِ الثَّلاثِ (الَّتي عُرِفَتْ بِهذا الإسْمِ لِأَنَّ الرُّومانَ كانوا يُسَمُّونَ القَرْطاجِيّينَ «بُونِيْني») الَّتي اسْتَمَرَّتْ مُتَقَطِّعَةً ما يَزيدُ عَلى مِائَةِ عامٍ انْتَهَتْ بِاجْتِياحِ الرُّومانِ لِقَرْطاجَةَ عامَ ١٤٦ ق م.

فَوْق: تَنامَتْ تِجارَةُ قَرْطاجَةَ وقُوَّتُها فَبَسَطَتْ سُلْطَتَها عَلى غَرْبِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ.

إلى أَسْفَل: خَريطَةٌ تُبَيِّنُ المَناطِقَ الرَّئيسِيَّةَ التي أنشأَ الفينيقِيُّونَ فيها مُستَوطناتِهِم



الحُكْمُ الأَشوريّ

نَقْشٌ جِدارِيٌّ بارِزٌ، من قَصْرِ المَلِكِ سَنْحاريبَ في نِيْنَوى، يُبَيِّنُ المَلِكَ لُولي هارِبًا مِنْ صُوْرَ خِلالَ حِصارِ الأَشورِيِّينَ لَها

خَضَعَتْ فينيقيا لِسُلْطَةِ الأَشورِيِّينَ بَيْنَ عامَيْ ٨٧٧ و٦١٢ ق م.؛ وقَدْ حاوَلَ الفينيقيُّونَ طَرْدَ مُحْتَلِّيهِمْ عامَ ٧٠٠ ق م.، لكِنَّ سَنْحاريبَ مَلِكَ آشورَ جَرَّدَ عَلَيْهِمْ حَمْلَةً أَعادَتْ تَوْطيدَ الحُكْمِ الأَشورِيِّ.

وقَدْ سُجِّلَتْ حَمْلَةُ سَنْحاريبَ هذِهِ عَلى نُقوشٍ حَجَرِيَّةٍ بارِزَةٍ في العاصِمَةِ الأَشورِيَّةِ، نِيْنَوى. وقَدْ ساعَدَتْ تِلْكَ النُّقوشُ في إِبْرازِ مَعالِمِ المُدُنِ الفينيقِيَّةِ المُحاطَةِ بِالأَسْوارِ والمُتَراصَّةِ الأَبْنِيَةِ. وكانَتِ المَباني ذاتَ طابِقَيْنِ في الغالِبِ، العُلْوِيُّ مِنْهَا يَصْغُرُ السُّفْلِيَّ؛ وهِيَ في مُعْظَمِها مُشادَةٌ (مَبْنِيَّةٌ) بِالحَجَرِ.

ولَمْ يُعِقِ الحُكْمُ الأَشورِيُّ اسْتِمْرارَ ازْدِهارِ المُدُنِ الفينيقِيَّةِ. فَالأَشورِيُّونَ قَلَّمَا تَدَخَّلوا في شُؤونِها الدّاخِلِيَّةِ والتِّجارِيَّةِ. وكانَتْ زِيارَةُ الحُكّامِ الأَشورِيِّينَ تَكادُ تَقْتَصِرُ عَلى المُشارَكَةِ في رِياضَةِ صَيْدِ الدَّلافينِ.

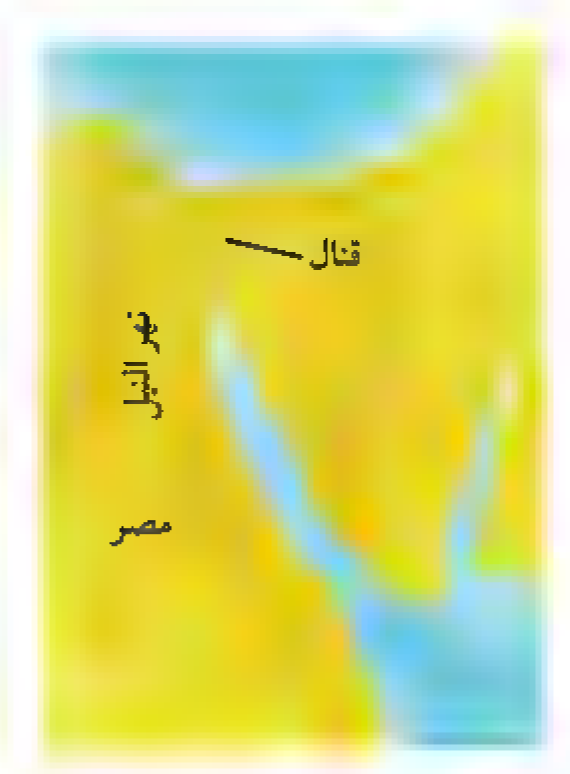
إنْجازانِ فينيقِيّانِ عَظيمانِ

اِسْتَعادَتِ المُدُنُ الفينيقِيَّةُ سِيادَتَها عامَ ٦١٢ ق.م. عِنْدَما دَمَّرَ البابِلِيُّونَ الإمْبراطورِيَّةَ الأشورِيَّةَ. وشَهِدَتِ الفَتْرَةُ التّالِيَةُ إنْجازَيْنِ فينيقِيَّيْنِ رائِعَيْنِ يَزيدُ في عَظَمَتِهِما أنَّهُما تَمّا في ذلِكَ العَصْرِ.

الإنْجازُ الأوَّلُ مِلاحِيٌّ يَرْوي عَنْهُ المؤرِّخُ اليونانِيُّ هيرودُوتُس أنَّهُ تَمَّ بِناءً عَلى طَلَبِ الفِرْعَونِ نيخُو الثّاني إلى مَلّاحيهِ مِنَ الفينيقِيّينَ الدَّورانَ حَوْلَ إفْريقِيا وكانَتِ الخُطَّةُ أنْ يَنْتَقِلوا بَرًّا إلى البَحْرِ المَيِّتِ حَيْثُ يُبْحِرونَ جَنوبًا حَوْلَ رَأْسِ الرَّجاءِ الصّالِحِ، ثُمَّ يَنْطَلِقونَ شَمالًا عَلى طُولِ ساحِلِ إفْريقِيا الغَرْبِيِّ إلى البَحْرِ المُتَوَسِّطِ ومِنْهُ إلى مِصْرَ.

وفي هذا الشَّأْنِ كَتَبَ هيرودُوتُس: «يَقولونَ، والكَثيرونَ رُغْمَ شَكّي يُصَدِّقونَهُمْ، إنَّ الشَّمْسَ كانَتْ إلى يَمينِهِمْ خِلالَ الرِّحْلَةِ حَوْلَ إفْريقِيا». والواقِعُ أنَّ في هذا القَوْلِ تَأْييدًا لِحُدوثِ الرِّحْلَةِ فِعْلًا فَلا هيرودُوتُس ولا أيٌّ مِنْ سُكّانِ حَوْضِ المُتَوَسِّطِ، البَعيدونَ حَوالَي ٣ آلافِ كيلومِتْرٍ شَمالِيَّ خَطِّ الإسْتِواءِ، كانَ يَعْرِفُ أنَّ الشَّمْسَ تَعْبُرُ في السَّمْتِ (النُّقْطَةِ الَّتي تَقَعُ فَوْقَ رَأْسِ المُشاهِدِ عَمودِيًّا) تَمامًا عَلى خَطِّ الإسْتِواءِ، وإنْ عَرَفوا بِالخِبْرَةِ أنَّ المُبْحِرَ مِنَ الشَّرْقِ إلى الغَرْبِ في البَحْرِ المُتَوَسِّطِ تَكونُ الشَّمْسُ دائمًا إلى يَسارِهِ. أمّا بَحّارو نيخُو الفينيقِيّونَ المُنْطَلِقونَ مِنَ الشَّرْقِ إلى الغَرْبِ عَلى طُولِ ساحِلِ إفْريقِيا الجَنوبِيِّ جَنوبِيَّ خَطِّ الإسْتِواءِ فإنَّ الشَّمْسَ حَقًّا كانَتْ إلى يَمينِهِم وهُمْ حَقَّقوا إنْجازَهُمْ ذاكَ قَبْلَ البُرْتُغالِيّينَ بِحَوالَي ٢٠٠٠ سَنَةٍ.

أمّا الإنْجازُ الثّاني فَهُوَ هَنْدَسِيٌّ؛ وقَدْ نُفِّذَ أيْضًا بِناءً عَلى أوامِرِ الفِرْعَونِ نيخُو، وإنْ لَمْ يَتِمَّ إنْجازُهُ في عَهْدِهِ فَقَدْ شَقَّ المُهَنْدِسونَ الفينيقِيّونَ قَناةً وَصَلَ البَحْرَ الأحْمَرَ بِالبَحْرِ المُتَوَسِّطِ وقَدْ ظَلَّ هذا القَنالُ قَيْدَ الإسْتِخْدامِ حَتّى القَرْنِ الميلادِيِّ الثّامِنِ حِينَ انْخَفَضَ مُسْتَوى مِياهِ البَحْرِ فَتَطَيَّنَ المَمَرُّ وهُجِرَ ونَذْكُرُ أنَّ قَناةَ السُّوَيْسِ الحالِيَّةَ لَمْ يَتِمَّ شَقُّها إلّا بَعْدَ أكْثَرَ مِنْ ١٠٠٠ سَنَةٍ عَلى ذلِكَ الإنْجازِ الفينيقِيِّ الرّائِعِ



خَريطَةٌ تُبَيِّنُ إمكانِيَّةَ وَصْلِ البَحْرِ الأحمَرِ بِقَنالٍ إلى البَحْرِ المُتَوَسِّطِ

رِحْلَةُ المَلّاحينَ الفينيقيّينَ حَوْلَ القارَّةِ الإفريقيَّةِ





نَبُوخَذ نَصَّر (الثاني)

هُوَ مَلِكُ بابِلَ (في عَهْدِ الإمْبراطوريَّةِ البابِلِيَّةِ الثّانِيَةِ) وصاحِبُ الحَدائِقِ المُعَلَّقَةِ فيها. في عَهْدِ أبيهِ، أَنْزَلَ نَبُوخَذ نَصَّر الهَزيمَةَ بِجُيوشِ الفِرْعَونِ نيخو الثّاني عامَ ٦٠٥ ق.م. في مَوقِعَةِ كارْشِمِش. لكِنَّ مَوْتَ والِدِهِ نابوبَلَسَّرَ اضْطَرَّهُ لِلْعَوْدَةِ إلى بابِلَ قَبْلَ أَنْ يَقْطِفَ ثِمارَ انْتِصارِهِ ويُرَسِّخَ حُكْمَهُ في مِصْرَ.

وانْتَهَزَ المِصْرِيُّونَ الفُرْصَةَ فَأَقْنَعوا المُدُنَ الفينيقِيَّةَ والدُّوَيْلاتِ الكَنْعانِيَّةَ العِبْرِيَّةَ بِمُحالَفَتِهِمْ لِمَنْعِ أَيِّ هُجومٍ بابِلِيٍّ جَديدٍ. لكِنَّ نَبُوخَذ نَصَّر أعادَ الكَرَّةَ (كَرَّرَ الهُجومَ) في العامِ ٥٩٢ ق.م فَهَزَمَ المُتَحالِفينَ واسْتَوْلى عَلى القُدْسِ ومَمْلَكَةِ يَهوذا وأَخَذَ الكَثيرينَ مِنْ سُكّانِها أَسْرى إلى بابِلَ.

وقَدْ صَمَدَتْ مَدينَةُ صُورَ بِبُطولَةٍ أَمامَ مُحاوَلاتِ نَبُوخَذ نَصَّرَ لِاقْتِحامِها عَلى مَدى ثَلاثَةَ عَشَرَ عامًا (بَيْنَ ٥٨٥ و٥٧٢ ق.م.) وأَخيرًا سَحَبَ نَبُوخَذ نَصَّرُ جُيوشَهُ بَعْدَ أَنْ وافَقَتِ المَدينَةُ، الَّتي لَمْ تُهْزَمْ، عَلى قَبولِ حُكْمِهِ.



جُيوشُ البابِلِيّينَ (الكِلْدان) بِقِيادَةِ المَلِكِ نَبوخَذ نَصَّر الثّاني تُحاصِرُ مَدينَةَ صُور

الفينيقِيّونَ يَفْقِدونَ السِّيادَةَ البَحْرِيَّةَ

في العامِ ٥٣٩ ق م اسْتَوْلَى كُورُشُ الثّاني مَلِكُ بِلادِ فارِسَ عَلى بابِلَ وانْتَقَلَتْ فينيقِيا بِالتّالي إلى سَيْطَرَتِهِ. لكِنَّ هذا الوَضْعَ لَمْ يُغَيِّرْ كَثيرًا في حالِ المُدُنِ الفينيقِيَّةِ، فَهِيَ وإنْ خَضَعَتْ عَلى مَدى تاريخِها الطَّويلِ لِسُلْطانِ الإمْبراطورِيّاتِ الغَريبَةِ فإنَّها قَلَّما حُكِمَتْ مِنْ قِبَلِهِمْ مُباشَرَةً. فَالحُكّامُ المِصْرِيّونَ والأَشورِيّونَ والبابِلِيّونَ والفُرْسُ تَرَكُوا لِأَهْلِ هذِهِ المُدُنِ إدارَةَ شُؤونِهِمُ الدّاخِلِيَّةِ.



وقَدِ اسْتَمَرَّ ازْدِهارُ المُدُنِ الفينيقِيَّةِ وقُدُراتُها بِفَضْلِ سِيادَتِها البَحْرِيَّةِ والتِّجارِيَّةِ في حَوْضِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ. لكِنْ كُلُّ ذلِكَ تَداعَى وانْهارَ حِيْنَما فَقَدَ الفينيقِيُّونَ سِيادَتَهُمْ عَلى البِحارِ

فَفي العامِ ٥٠٠ ق.م. ثارَتِ المُدُنُ اليونانِيَّةُ في آسِيا الصُّغْرَى عَلى دارْيُوسَ الأَوَّلِ مَلِكِ الفُرْسِ. وبِالطَّبْعِ انْحازَ الفينيقِيُّونَ إلى سادَتِهِمُ الفُرْسِ. وقامَتْ سُفُنُهُمْ بِمُحارَبَةِ اليونانِيِّينَ في سائِرِ أَرْجاءِ شَرْقِ المُتَوَسِّطِ.

وَجَرَتِ المَعْرَكَةُ الحاسِمَةُ عامَ ٤٨٠ ق.م. شَرْقِيَّ جَزيرَةِ سَلامِيسَ عَلى مَقْرُبَةٍ مِنَ الشّاطِئِ اليونانِيِّ. فَسَحَقَ الإغْريقُ الأُسْطولَ الفارِسِيَّ الَّذي كانَ يَضُمُّ خِيرَةَ السُّفُنِ الفينيقِيَّةِ وبِذلِكَ زالَتْ سِيادَةُ الفينيقِيِّينَ عَلى البِحارِ إلى غَيْرِ رَجْعَةٍ!

مَعْرَكَةُ سَلامِيس اليونانِيُّونَ يَسْحَقونَ الأُسْطولَ الفارِسِيَّ ويُدَمِّرونَ خِيرَةَ السُّفُنِ الفينيقِيَّةِ الَّتي كانَتْ تَدْعَمُهُ



وقَدْ ظَلَّتِ المُدُنُ الفينيقِيَّةُ تَحْتَ حُكْمِ الفُرْسِ، وكانَتْ تُزَوِّدُ الأُسْطولَ الفارِسِيَّ بِالسُّفُنِ مِنْ حينٍ لآخَرَ. لكِنَّ هذِهِ المُدُنَ، بِقِيادةِ صَيْدونَ، تَمَرَّدَتْ عامَ ٣٥٢ ق.م. عَلى الحُكْمِ الفارِسِيِّ. فَكانَ أَنْ أَسْرَعَ أرتكْسَرْسِيسُ مَلِكُ فارِسَ بالزَّحْفِ عَلى صَيْدونَ. وبِتَدْبيرٍ خِيانِيٍّ تَمَّ فَتْحُ أَبْوابِ المَدينَةِ لِرِجالِهِ، وفي خِضَمِّ العِراكِ دَبَّتِ النِّيرانُ فَأَتَتْ عَلى قِسْمٍ كَبيرٍ مِنَ المَدينَةِ. وَنَتيجَةٌ لِذلِكَ وافَقَتِ المُدُنُ الأُخْرَى عَلى تَقَبُّلِ السَّيْطَرَةِ الفارِسِيَّةِ ثانِيَةً. وقَدِ اسْتَمَرَّتْ هذِهِ المُدُنُ في إدارَةِ شُؤونِها الدّاخِلِيَّةِ والمُتاجَرَةِ بِحُرِّيَّةٍ ما دامَتْ بَعيدَةً عَنْ خَلْقِ المَتاعِبِ لِلسّادَةِ الفُرْسِ.

لكِنَّ الفينيقِيِّينَ، بَعْدَ هَزيمَتِهِمْ في سَلاميسَ، لَمْ يَتَمَكَّنوا مِنِ اسْتِعادَةِ شُهْرَتِهِمْ كَسادَةٍ لِلْبِحارِ. فَقَدْ راحَ الإغْريقُ والقَرْطاجِيُّونَ يُنازِعُونَهُمْ بِنَجاحٍ السِّيادَةَ عَلى تِجارَةِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ.

الجُنودُ الفارِسِيُّونَ يَجْتاحونَ صَيْدونَ بَعْدَ أَنْ فُتِحَتْ لَهُمْ أَبوابُها بِتَدْبيرٍ خِيانِيٍّ





مَعْبَرُ الإسْكَنْدَر

تابَعَ الإسْكَنْدَرُ مَلِكُ مَقْدونيا مُحارَبَةَ الفُرْسِ، بَعْدَ أبيهِ، فَهَزَمَهُمْ في مَوْقِعَةِ إسّوسَ عامَ ٣٣٣ ق.م وفَتَحَتْ كُلُّ المُدُنِ الفينيقِيَّةِ أبْوابَها أمامَ السّادَةِ الجُدُدِ باسْتِثْناءِ صُورَ. وأمامَ عِنادِ صُورَ أمَرَ الإسْكَنْدَرُ جُنودَهُ المُنْتَشِرينَ قُبالَةَ المَدينَةِ أنْ يَبْنوا مَعْبَرًا تُرابِيًّا بَيْنَ الشّاطِئِ وصُورَ لإقْناعِ أهْلِها بِأنَّهُمْ جُزْءٌ مِنَ البَرِّ الرَّئيسِيِّ.

وراحَ الجُنودُ يُقيمونَ المَعْبَرَ إلى جَزيرَةِ صُورَ تَحْميهِمُ السُّفُنُ المُصادَرَةُ مِنَ المُدُنِ الفينيقِيَّةِ الأُخْرى وصَمَدَ الصُّورِيّونَ المُحاصَرونَ سَبْعَةَ أشْهُرٍ وهُمْ يَصُدّونَ الهَجْمَةَ إثْرَ الأُخْرى. فَكانُوا يُحْرِقونَ السُّفُنَ وآلاتِ الحِصارِ المَقْدونِيَّةَ بِالمَشاعِلِ القَطِرانِيَّةِ، ويُسْقِطونَ الرَّمْلَ المُحْمى في الدُّروعِ البرونْزِيَّةِ عَلى جُنودِ العَدُوِّ مِنْ فَوْقِ الأسْوارِ، أوْ يَتَصَيَّدونَهُمْ بِالشِّباكِ الضَّخْمَةِ ثُمَّ يَنْهالُونَ عَلَيْهِمْ بِالمَقْذوفاتِ الحَجَرِيَّةِ والصّاروخِيَّةِ اللّاهِبَةِ.

مَعْبَرُ الإسْكَنْدَر

صُور

ساحِلُ البَرِّ الفينيقِيِّ الرئيسيِّ

فَوْق: خَريطَةٌ لِمدينَةِ صُورَ في الوَقْتِ الذي تَمَّ فيهِ بِناءُ مَعْبَرِ الإسْكَنْدَر.

إلى أسْفَل: جُنودُ الإسْكَنْدَر مُنْهَمِكونَ في بِناءِ المَعْبَرِ التُّرابِيِّ لِوَصْلِ جَزيرَةِ صُورَ بِالبَرِّ الرَّئيسِيِّ.





لكِنَّ بِناءَ المَعْبَرِ تَمَّ أخيرًا، وأَصْبَحَتْ أَسوارُ المَدينَةِ في مُتَناوَلِ المُهاجِمينَ – وانْهَزَمَ الصُّورِيُّونَ؛ فَغَدَتْ فينيقيا بِأَكْمَلِها جُزْءًا مِنْ إمبراطورِيَّةِ الإسْكَنْدَرِ الشّاسِعَةِ.

ولَمْ يَتَسَنَّ لِلمُدُنِ الفينيقِيَّةِ اسْتِعادَةُ قُدُراتِها وازْدِهارِها تَحْتَ حُكْمِ الإسْكَنْدَرِ وخُلَفائِهِ. وأَخَذَ اليونانِيُّونَ يَسْتَقِرُّونَ في المُدُنِ الفينيقِيَّةِ بِأَعْدادٍ كَبيرَةٍ، فَتَراجَعَتِ اللُّغَةُ الفينيقِيَّةُ تَدْريجِيًّا حَتّى انْدَثَرَتْ أَمامَ لُغَةِ المُسْتَوْطِنينَ الأَسْيادِ. وغَدَتِ السُّفُنُ المِصْرِيَّةُ واليونانِيَّةُ والقَرْطاجِيَّةُ تَنْقُلُ البَضائِعَ الَّتي كانَ الإتِّجارُ بِها حَكْرًا عَلى الفينيقِيِّينَ.

وقَدْ حافَظَتْ قَرْطاجَةُ، وَحْدَها، عَلى الثَّقافَةِ الفينيقِيَّةِ وتَقاليدِ السِّيادَةِ التِّجارِيَّةِ. وسُرْعانَ ما اسْتَوْلَتْ عَلى المُسْتَعْمَراتِ والمُسْتَوْطَناتِ الفينيقِيَّةِ في غَرْبِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ.

لكِنَّ قُوَّةً جَديدَةً كانَتْ تَتَهَيَّأُ لِدَوْرِها في السَّيطَرَةِ عَلى عالَمِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ – إنَّهُ دَوْرُ روما الآنَ!

رُوما تَسْتَولي عَلى كُلِّ شَيْءٍ

بَسَطَ الرُّومانُ سِيادَتَهُمْ عَلى شِبْهِ جَزيرَةِ إيطاليا بِكامِلِها بِحُلولِ القَرْنِ الثّالِثِ ق.م ، ومِنْ ثَمَّ انْطَلَقوا نَحْوَ صِقِلِّيَةَ، وبَدأُوا بِذلِكَ نِزاعًا مَريرًا مَعَ القَرْطاجِيِّينَ مُسْتَوطِنينَ وتُجّارًا في الحُروبِ البُونِيَّةِ الثَّلاثِ.

بَدأَتِ الحَرْبُ الأُولى عامَ ٢٦٤ ق م. بِتَفَوُّقٍ بَرِّيٍّ لِلرُّومانِ وأُسْطولٍ أَفْضَلَ لِلقَرْطاجِيِّينَ لكِنَّ الرُّومانَ أَفادوا مِنْ حُطامِ سَفينَةٍ حَرْبِيَّةٍ فينيقِيَّةٍ، فَبَنَوا لَهُمْ أُسْطولًا قَوِيًّا عَلى نَمَطِها؛ وتَمَكَّنوا بِذلِكَ مِنْ إيقاعِ الهَزيمَةِ بِالقَرْطاجِيِّينَ عامَ ٢٦٠ ق م.

ونَشِبَتِ الحَرْبُ الثّانِيَةُ عامَ ٢١٨ ق.م. حِينَ زَحَفَ القائِدُ القَرْطاجِيُّ الشَّهيرُ هَنيبالُ، عَبْرَ إسْبانيا وجَنوبِ فَرَنْسا، إلى إيطاليا بِمُعَدّاتِهِ الثَّقيلَةِ وأَفْيالِهِ؛ وأَحْرَزَ انْتِصاراتٍ أَوَّلِيَّةً عَلى الرُّومانِ، بِخاصَّةٍ في كَناي عامَ ٢١٦ ق م. وفي العامِ ٢١١ ق م. كانَتْ جُيوشُهُ عَلى بُعْدِ كيلومِتْرٍ واحِدٍ مِنْ رُوما؛ لكِنَّ إخْفاقَ قَرْطاجَةَ في مَدِّهِ بِمَعُونَةٍ كافِيَةٍ (بِسَبَبِ سَيْطَرَةِ الرُّومانِ البَحْرِيَّةِ حِينَئِذٍ) مَنَعَهُ مِنْ مُهاجَمَةِ رُوما ذاتِها. وعِنْدَما غَزا القائِدُ الرُّومانِيُّ إسْكيبيُو شَمالَ إفْريقيا عامَ ٢٠٤ ق.م. اُضْطُرَّ هَنيبالُ إلى العَوْدَةِ لِلدِّفاعِ عَنْ قَرْطاجَةَ، لكِنَّ إسْكيبيُو أَوْقَعَ بِهِ هَزيمَةً حاسِمَةً في مَوْقِعَةِ زاما عامَ ٢٠٢ ق.م.



فَوْق: هَنيبالُ القائِدُ القَرْطاجِيُّ الفَذّ.

في الصَّفْحَةِ المُقابِلَةِ جَيْشُ هَنيبالَ بِأَفْيالِهِ ومُعَدّاتِهِ الثَّقيلَةِ يَعْبُرُ جِبالَ الأَلْبِ.

إلى أَسْفَل خَريطَةٌ تُبَيِّنُ امْتِدادَ الإمْبراطورِيَّةِ الرُّومانِيَّةِ في العام ١٠٠ ق.م ، وتَظْهَرُ عَلى الخَريطَةِ الطَّريقُ الَّتي سَلَكَها هَنيبالُ إلى رُوما قَبْلَ قَرْنٍ مِنْ ذلِكَ التّاريخ

فرنسا
إسبانيا
روما
إيطاليا
آسيا الصغرى
قرطاجة
البحر الأبيض المتوسط
فينيقيا
مصر





الرُّومانُ يَنْثُرونَ المِلْحَ وَيَحْرُثونَهُ في الأَراضي الزِّراعِيَّةِ حَوْلَ قَرْطاجَةَ - كَيْلا تَقُومَ لِلْمَدينَةِ قائِمَةٌ بَعْدَ ذلِكَ

رُغْمَ هاتَيْنِ الحَرْبَيْنِ اسْتَطاعَتْ قَرْطاجَةُ اسْتِعادَةَ قُدُراتِها مِمّا جَعَلَ المَخاوِفَ تُساوِرُ رُوما مِنْ ناحِيَتِها. فَفي العامِ ١٤٩ ق.م. هاجَمَتِ الجُيوشُ الرُّومانِيَّةُ قَرْطاجَةَ ودَمَّرَتْها، وأَفْسَدَ الرُّومانُ الأَراضِيَ الزِّراعِيَّةَ حَوْلَ المَدينَةِ حَتّى لا تَقُومَ لَها قائِمَةٌ بَعْدَ ذلِكَ

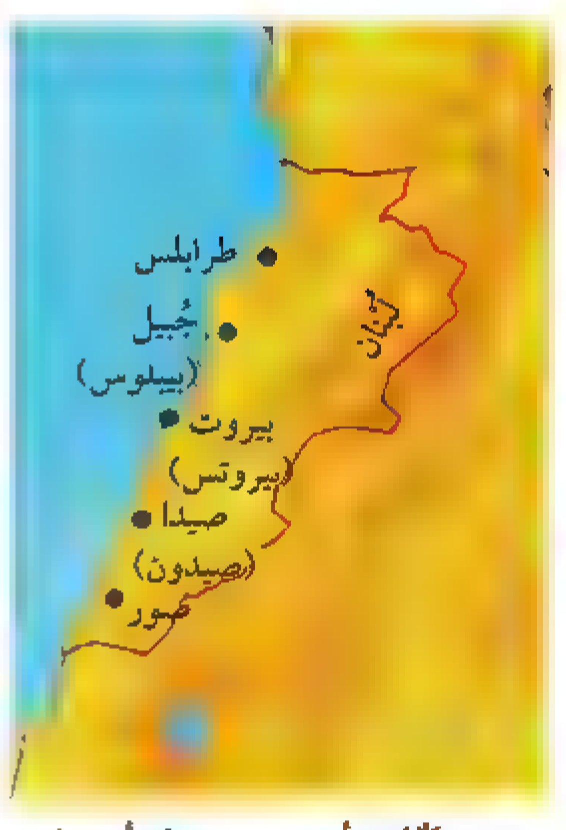
وخَلا الجَوُّ لِلرُّومانِ لِلسَّيْطَرَةِ عَلى باقي حَوْضِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ، فَاسْتَوْلَوا عَلى مُدُنِ السّاحِلِ الفينيقِيِّ جَميعِها. وأَضْحَتْ فينيقِيا، كَما مُعْظَمُ حَوْضِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ والشَّرْقِ الأَوْسَطِ، جُزْءًا مِنَ الإِمْبراطورِيَّةِ الرُّومانِيَّةِ.

تُراثُ الفينيقِيِّينَ

بَعْدَ قُرونٍ مِنَ الحُكْمِ الرُّومانِيِّ والبِيزَنْطِيِّ تَمَّ لِلْعَرَبِ فَتْحُ فينيقيا وجِوارِها في عَهْدِ الخَليفَةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ (٦٣٤ – ٦٤٤م) وطَغَتِ التَّقاليدُ الاِجْتماعيَّةُ والسِّياسِيَّةُ والثَّقافِيَّةُ الجَديدَةُ الَّتي أَدْخَلَها العَرَبُ عَلى ما عَداها.

لكِنَّ مَعالِمَ التُّراثِ الفينيقِيِّ ما زالَتْ بَيِّنَةً لا في تاريخِ المِنْطَقَةِ فَقَطْ بَلْ في مُجْمَلِ التّاريخِ نَفْسِهِ. فَسِيادَةُ الفينيقِيِّينَ البَحْرِيَّةُ تَظَلُّ مَوْضِعَ احْتِرامِ العالَمِ وتَقْديرِهِ. كَذلِكَ لا يَزالُ العَديدُ مِنْ لُغاتِ العالَمِ اليَوْمَ يَسْتَخْدِمُ الأَبْجَدِيَّةَ الَّتي تَعودُ أُصولُها إلى الأَبْجَدِيَّةِ الفينيقِيَّةِ.

وفي رَأْيِ الكَثيرينَ أَنَّ المَهارَةَ التِّجارِيَّةَ ورُوحَ المُغامَرَةِ الَّتي عُرِفَ بِها سُكّانُ المِنْطَقَةِ الحالِيُّونَ (في لُبْنانَ بِخاصَّةٍ) تَعودُ جُذورُها إلى التَّقاليدِ التِّجارِيَّةِ العَريقَةِ الَّتي تَمَيَّزَ بِها أَسْلافُهُمْ



خَريطَةٌ تُبَيِّنُ لُبْنانَ – الذي يَشْغَلُ حالِيًّا مُعظَمَ المِساحَةِ التي كانَتْ تُسَيْطِرُ عَلَيْها المُدُنُ الفينيقِيَّةُ

إلى أَسْفَل تَماثيلُ فينيقِيَّةٌ كانَتْ تُقَدَّمُ تَقَرُّبًا لِلآلِهَةِ وكانَ البَعْضُ مِنْها أَحْيانًا يُلَبَّسُ بِرَقائِقِ الذَّهَبِ



وِعاءٌ خَزَفِيٌّ لِلْعُطور

رَقيم (لَوْحُ كِتابَة)

وِعاءٌ زُجاجِيٌّ

قِناع جنائزيٌ ذَهَبِيٌّ

عِجْل برونْزِيٌّ مَكْسُوٌّ
بِالرَّقائِقِ الذَّهَبِيَّة

مَنْحوتَة عاجِيَّة

نَماذِجُ مِنَ المَصْنوعاتِ اليَدَوِيَّةِ الفينيقِيَّة

جَدْوَلٌ بالأَحداثِ حَسَبَ أَزْمانِها

السَّنة ق.م.	الأَحداثُ في العالَم الفينيقيّ	الأَحداثُ في بَقِيَّةِ العالَمِ
٥٠٠٠	المُستَوْطَناتُ الأُولى في بِيبْلوس.	المُستَوْطَنات السُّومَرِيَّة الأولى في وادي الرّافدَين.
٣٠٠٠	مَبانٍ حَجَرِيَّة في بِيبْلوس.	بَدْء استعمال العَجلات عَلى العَربات في وادي الرّافدَين. بِناء الأَهرام في الجيزة، بمصر (حوالَي ٢٥٠٠).
١٦٠٠	مِصْرُ تَحْكُمُ فينيقِيا (من حوالَي ١٥٧٠ إلى ١٣٠٠). تأسيسُ المُستعمَراتِ الفينيقِيَّةِ الأُولى.	بِناءُ سَتُونْهِنْج في إنجلترا.
١٢٠٠	غَزْوُ الأقْوامِ البَحْرِيِّين.	نِهايَةُ العَصْرِ البرونْزيِّ وبِدايَةُ عَصْرِ الحديد في أوروبّا.
١٠٠٠ – ٦٠٠	نَقْلُ مدينَةِ صُوْرَ إلى جزيرةٍ على مَقْرُبَةٍ مِنَ البَرِّ الرئيسيِّ الفينيقِيِّ (حوالَي ١٠٠٠). الأَشورِيُّون يَحكُمُون فينيقِيا (من حوالَي ٨٧٧ إلى ٦١٢). تأسيسُ قَرْطاجَةَ (حوالَي ٨١٤). دَوَران البَحّارة الفينيقيِّين حول إفريقيا (حوالَي ٦١٢). نَبُوخَذ نَصَّر مِلكُ بابِلَ يَحْكُمُ فينيقِيا (حوالَي ٦٠٥). نَبُوخَذ نَصَّر يُحاصِرُ صُوْرَ (٥٨٥–٥٧٢).	المِلكُ سُلَيمانُ يَبْني هَيكَلَهُ في بَيْتِ المَقْدِس. تأسيسُ مَدينَةِ روما (حوالَي ٧٥٣).
٥٠٠ – ٣٠٠	فينيقِيا تَخْضَعُ لِسِيادَةِ الفُرْسِ (حوالَي ٥٣٩) إلى أن يُهْزَمَ الفُرْسُ عَلى يَدِ الإسْكَنْدَرِ الأكبر؛ الإسْكَنْدَرُ يَبْني مَعْبَرًا لِلاستيلاءِ على صوْر (حوالَي ٣٣٢).	روما تُصْبِحُ جمهورِيَّةً (حوالَي ٥١٠)
٢٥٠ – ٥٠	زَحْفُ هَنيبالَ عَلى روما (حوالَي ٢١٨). الرُّومانُ يُدَمِّرونَ قَرطاجَةَ (حوالَي ١٤٦). الرُّومانُ يُسيطرونَ على فينيقِيا (حوالَي ٦٤).	بِناءُ سُور الصِّين العظيم (حوالَي ٢١٥).

مَسْرَد (كَشّاف)

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل.
ساحة رياض الصلح ، ص.ب. ٩٤٥ - ١١
بيروت ، لبنان

الطبعة الأولى ،
طُبِع في لبنان
رقم الكتاب 01 C 195609

كتب الفراشة

المرحلة الأولى

١. القَمَر
٢. الجِبال
٣. المَطَر
٤. الأَنْهار
٥. النَّفْط
٦. الوَرَق
٧. حَيوانات الصَّحْراء وطُيورها
٨. نَباتات الصَّحراء وأَزْهارها
٩. الواحات
١٠. المُحيطات والبِحار
١١. سُفُن الفَضاء
١٢. الأَدْغال
١٣. الزُّجاج
١٤. القُطْن
١٥. الجِمال
١٦. النيل
١٧. الشَّمْس
١٨. الخَشَب
١٩. الحَديد والفولاذ
٢٠. الجُلود
٢١. الأَسْماك
٢٢. الطُّيور
٢٣. التَّمويه: وسيلة دفاع طبيعيّة
٢٤. الجَواد العَربيّ
٢٥. السَّيّارات
٢٦. الثِّياب
٢٧. الدَّواليب (العَجلات)
٢٨. الصّوف
٢٩. الحَيوانات في خِدمة الإِنسان
٣٠. الدِّيناصورات
٣١. الطّائرة والطَّيران
٣٢. السُّفُن
٣٣. الخُبْز
٣٤. الجُزُر
٣٥. بيوت الحَيوانات
٣٦. الأَشْجار
٣٧. النُّقود

المرحلة الثانية

١. الأَرْض
٢. الوَقْت
٣. النّار
٤. الهَواء
٥. الماء
٦. الحِرَف اليَدويّة في العالَم العربيّ
٧. المُستشفى
٨. الآلات الموسيقيّة
٩. التِّجارة
١٠. الطَّقس والمناخ
١١. المنطقتان القطبيّتان
١٢. عالَم الكتب
١٣. استِزراع الصَّحاري
١٤. المَطارات
١٥. المَزارع
١٦. الإِسقاء والرَّيّ
١٧. الصَّحاري

المرحلة الثالثة

١. كنوز توت عنخ آمون
٢. الهرم الأكبر
٣. الفينيقيون
٤. وادي الرافدين



كتب الفراشة

٣ . الفينيقيّون

كتب الفراشة سلاسلُ مُتميِّزة من كتب المعرفة المُصوَّرة غنيَّةٌ بالمعلومات المفيدة في شتّى المجالات العلميّة والأدبيّة والتاريخيّة والحياتيّة. وهي تَتدرَّج في مراحلَ ثلاثٍ تُناسبُ مُختلِف مُستويات القُرّاء.

لقد اختيرت النُّصوصُ وأُعِدَّت بإشراف الخُبراءِ والمختَصّين لتَفي بمُتطلَّبات الموضوع ولتلبية تطلُّعات القُرّاءِ واحتياجاتهم. وقد اختيرت الرُّسوم وصُمِّمت لِتُؤلِّف لا عُنصرًا جماليًّا فقط بل لتكون مصدرَ معلوماتٍ إضافيًّا مُشَوِّقًا أيضًا.

والمرحلة الثالثة من كتب الفراشة هي المرحلة الأعلى مُستوًى من حيث طبيعةُ المعلومات ورسومُها ومستوى مُعالجتها.

كتب الفراشة في الحقيقة مكتبة مُتكامِلةٌ في البيت كما في المدرسة والنادي، تَجْمعُ إلى ثروة المعلومات ومَناهِلِ المعرفةِ مُتْعَةَ القراءَةِ وسَعةَ الاطّلاع والغِنى الثّقافيّ الرّفيع.



مكتبة لبنان ناشرون